

الأنبياء الصغار

كُتَيْب رَقْم ٩

هُوشَع، يُوئِيل، عَامُوس، عُوْبِدِيَا، يُونَانَ، مِيخَا،
نَاْحُوم، حَبْقُوق، صَفْنِيَا، حَجِّي، زَكْرِيَّا وَمَلَاخِي

The Minor Prophets

Booklet # 9

Hosea, Joel, Amos, Obadiah, Jonah,
Micah, Nahum, Habakkuk, Zephaniah,
Haggai, Zechariah and Malachi
By Rev. Dr. Dick Woodward

بِقَلَم: القسّ الدكتور دِكْ وُودُورْد
تَرْجَمَة: القسّ الدكتور بِيَار فرنسيس

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

محتويات الكتاب

٢	لمحة عامّة
٣	نُبُوَّةُ هُوشَعَ
٦	نُبُوَّةُ يُونِيل
٩	نُبُوَّةُ عَامُوس
١٢	نُبُوَّةُ عُوبَدِيَا
١٥	نُبُوَّةُ يُونَانَ
٢٠	نُبُوَّةُ مِيخَا
٢٤	نُبُوَّةُ نَاخُوم
٢٧	نُبُوَّةُ حَبَّقُوق
٣١	نُبُوَّةُ صَفَنِيَا
٣٤	نُبُوَّةُ حَجِّي
٣٨	نُبُوَّةُ زَكَرِيَّا
٤٤	نُبُوَّةُ مَلَاخِي
٤٧	الهمساتُ السبع
٥٤	الخاتمة (ملاخي ٣: ١٦ - ٤: ٤)

الأنبياء الصغار: لمحة عامّة

نبدأ الآن بدراسة آخر إثني عشر نبياً في العهد القديم، والذين يُشار إليهم عادةً بالأنبياء الصغار. دُعِيَ الأنبياء الصغار كذلك لأنّ أسفارهم أصغر من الأسفار النبويّة الأخرى التي سبق ودرسناها. وبما أنّ الأنبياء الإثني عشر الأخيرين قد كُتِبُوا في زمن متأخّر في التاريخ العبري، كان يُشار إليهم أحياناً بالأنبياء المتأخّرين. لقد احتفظت الكتبة القدّامى بأسفار هؤلاء الأنبياء في وحدة متكاملة تُسمّى "الإثني عشر"، لأنّهم أولوهم كلّ احترام وتقدير، ولم يكوّنوا مُستعدين لخسارة أيّ سفرٍ منهم.

إنّ الأسفار التاريخيّة الإثني عشر في العهد القديم تُقدّم الإطار التاريخي الذي عاش وكرز فيه الأنبياء الذين كتبوا أسفاراً. ولكي تُحافظ على توازنك التاريخي، عليك أن تُحاول وضع لائحة بيانيّة تُظهر لك أين ينبغي وضع كلّ نبيّ في التاريخ العبري الذي تعلّمنا عنه في دراستنا لأسفار العهد القديم التاريخيّة. وبما أنّ هذه الدراسة ليست أكاديميّة، بل هي دراسة تأمليّة تعبديّة للكتاب المقدّس، دعني أذكرك بالحقائق السبع عن التاريخ العبري، والتي يجب أن تنظر من خلالها، بينما تدرّس هذه الأسفار:

- ١- المملكة.
- ٢- المملكة المنقسمة.
- ٣- الإحتلال الأشوري للملكة الشماليّة.
- ٤- إنقراض المملكة الشماليّة.
- ٥- السبي البابلي للمملكة الجنوبيّة.
- ٦- الإحتلال الفارسي لبابل.
- ٧- الرجوع من السبي البابلي.

الفصل الأول

نُبُوَّةُ هُوشَعَ

مُعْظَمُنَا يَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ مُحَبَّةٌ، وَلَكِنْ كَمْ مِنَ الْكُتُبِ رَأَيْتَ أَوْ قَرَأْتَ عَنْ مَوْضُوعِ مُحَبَّةِ اللَّهِ؟ إِنْ سَفَرَ هُوشَعَ هُوَ الْكِتَابُ الْمُوَحَى بِهِ فِي مَكْتَبَةِ اللَّهِ الْمُقَدَّسَةِ حَوْلَ مَوْضُوعِ مُحَبَّةِ اللَّهِ. لَقَدْ كُفِّ هُوشَعَ مِنَ اللَّهِ بِأَنْ يَكُونَ نَبِيَّ مُحَبَّةِ اللَّهِ لِلْأَسْبَاطِ الْعَشْرِ الَّذِينَ عُرِفُوا بِالْمَمْلَكَةِ الشَّمَالِيَّةِ، وَكَانُوا يُدْعَوْنَ بِبِسَاطِ "إِسْرَائِيلِ". وَهَكَذَا كَرَزَ هُوشَعَ بِمُحَبَّةِ اللَّهِ لَهُؤُلَاءِ عِنْدَمَا ابْتَعَدُوا عَنِ اللَّهِ وَصَارُوا يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ.

أَوَّلُ حَقِيقَةٍ نَتَعَلَّمُهَا مِنَ النَّبِيِّ هُوشَعَ هِيَ أَنَّهُ عِنْدَمَا يَدْعُونَا اللَّهُ لِنَعْمَلَ عَمَلًا عَظِيمًا لَهُ، فَهُوَ غَالِبًا يُحْضِرُنَا لِهَذَا الْعَمَلِ مِنْ خِلَالِ إِخْتِبَارَاتِ حَيَاتِنَا. فَاللَّهُ يَسْتُخِذُ كُلَّ يَوْمٍ نَعِيشُهُ لِكِي يُعِدَّنَا لِكُلِّ يَوْمٍ آخَرَ سَنَعِيشُهُ وَنُخْدِمُ اللَّهَ فِيهِ.

مَجَازٌ مُؤَلِّمٌ

لَقَدْ اِعْتَبَرَ اللَّهُ هُوشَعَ مُسْتَعِدًّا لِيَكْرَزَ بِمُحَبَّةِ اللَّهِ لِشَعْبٍ غَيْرِ مُؤْمِنٍ، لِأَنَّ هُوشَعَ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ زَانِيَةٍ، كَانَ اسْمُهَا "جُومَرٌ" (١ : ٢، ٣). لَقَدْ أَحَبَّ هُوشَعَ جُومَرَ وَجَعَلَ مِنْهَا أُمَّاً لِأَوْلَادِهِ، وَعَامَلَهَا وَكَانَتْ أَكْثَرَ امْرَأَةٍ فَاضِلَةٍ وَتَقِيَّةٍ فِي الْأَرْضِ. وَبَعْدَ عِدَّةِ سِنَوَاتٍ، عِنْدَمَا رَجَعَتْ جُومَرٌ إِلَى عَشَاقِهَا، طَلَبَ الرَّبُّ مِنْ هُوشَعَ أَنْ يَقْبَلَ بِرُجُوعِهَا إِلَى الْبَيْتِ الزَّوْجِيِّ ثَانِيَةً، وَأَنْ يَسْتَمِرَّ بِحُبِّهِ لَهَا (٣ : ١). كُلُّ هَذَا كَانَ مَسْمُوحاً بِهِ مِنَ اللَّهِ لِتَحْضِيرِ هُوشَعَ لِكِي يَكْرَزَ لِإِسْرَائِيلَ عَنِ مُحَبَّةِ اللَّهِ وَقَبُولِهِ غَيْرِ الْمَشْرُوطِينَ.

وَرُغْمَ عَدَمِ اسْتِحْقَاقِهِمْ، تَمَّ إِخْتِيَارُ إِسْرَائِيلَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ لِيَكُونُوا شَعْبَهُ، تَمَاماً كَمَا إِخْتَارَ هُوشَعَ جُومَرَ لِتَكُونَ زَوْجَتَهُ وَلَكِنَّهَا كَانَتْ زَانِيَةً. فَالْمَجَازُ هُوَ قِصَّةٌ يَتَّخِذُ فِيهَا الْأَشْخَاصُ وَالْأَمَاكِنُ وَالْأَشْيَاءَ مَعْنَى أَعَمَقَ يُعَلِّمُنَا حَقَائِقَ رُوحِيَّةً وَأَخْلَاقِيَّةً. لَقَدْ كَانَ زَوْجُ هُوشَعَ مَجَازاً مُؤَلِّماً عَنِ مُحَبَّةِ اللَّهِ غَيْرِ الْمَشْرُوطَةِ لِإِسْرَائِيلَ.

كِرَازَةُ هُوشَعَ

كَانَتْ عِبَادَةُ الْأَوْثَانَ الْخَطِيئَةَ الْمُسْتَمِرَّةَ الْمُزْمِنَةَ الَّتِي مَارَسَهَا شَعْبُ الْمَمْلَكَةِ الشَّمَالِيَّةِ عِنْدَمَا أَلْقَى عَلَيْهِمْ هُوشَعَ عِظَاتِهِ الشُّجَاعَةَ وَالْمُؤَبِّخَةَ. لَقَدْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ لِلأَوْثَانَ أَيْضاً مَمْرُوجَةً بِالْمُمَارَسَاتِ غَيْرِ الْأَخْلَاقِيَّةِ. لِهَذَا كَانَ هُوشَعَ فَظًّا وَصَرِيحاً عِنْدَمَا وَعَظَهُمْ.

إِلَيْكُمْ بَعْضُ الْمُخْتَارَاتِ الْمُفَسَّرَةِ الَّتِي تُعَرِّفُكُمْ عَلَى أَسْلُوبِ وَعَظِهِ: "إِنَّ رِجَالَ إِسْرَائِيلَ يَنْتَهُونَ مِنْ شَرَبِ الْمُسْكِرِ، ثُمَّ يَذْهَبُونَ لِلْبَحْثِ عَنِ زَانِيَاتٍ. إِنَّ مُحَبَّتَهُمْ لِلْعَارِ هِيَ

أَعْظَمُ مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لِلْكَرَامَةِ... الرَّزَى وَالْحَمْرُ وَالسُّلَافَةُ تَخْلُبُ الْقَلْبَ. شَعْبِي يَسْأَلُ خَشْبَهُ وَعِصَاهُ تُخْبِرُهُ. ...إِنَّهُمْ مِثْلُ قَوْسٍ مُعَوَّجٍ، دَائِمًا يُخْطِئُ الْهَدَفَ. إِنَّهُمْ يَزْرَعُونَ الرِّيحَ وَيَحْصُدُونَ الزُّوْبَةَ. ...قَدْ ابْتَلَعَ إِسْرَائِيلُ. الْآنَ صَارُوا بَيْنَ الْأُمَمِ كِنَانًا لَا مَسْرَةَ فِيهِ. أَفْرَايِمُ تَطِيرُ كَرَامَتُهُمْ كَطَائِرٍ."

بِمَا أَنَّهُمْ كَانُوا شَعْبَ اللَّهِ الْمُخْتَارِ مِنْ قِبَلِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْحَقِيقِيِّ، إِعْتَبَرَ هُوَ شَعْبَ ذَهَابِهِمْ إِلَى آلِهَةٍ أُخْرَى بِمِثَابَةِ "زَنَى رُوحِي" ضِدَّ اللَّهِ: "شَعْبِي يَسْأَلُ خَشْبَهُ وَعِصَاهُ تُخْبِرُهُ. لِأَنَّ رُوحَ الرَّزَى قَدْ أَضَلَّهُمْ فَزَنُوا مِنْ تَحْتِ إِلَهُهِمْ."

"كُلُّهُمْ فَاسِقُونَ كَتَنُورٍ مُحْمَى مِنَ الْخَبَازِ. يُبْطِلُ الْإِيقَادَ مِنْ وَقْتِنَا يَعْبُرُ الْعَجِينَ إِلَى أَنْ يَخْتَمِرَ. هَكَذَا يَلْتَهَبُ هَذَا الشَّعْبُ بِالشَّهْوَةِ. لَقَدْ إِخْتَلَطَ شَعْبِي مَعَ الْوَتْنِيِّينَ، وَتَعَلَّمُوا طُرُقَهُمُ الرَّدِيئَةَ. لِهَذَا أَصْبَحُوا غَيْرَ نَافِعِينَ لشيءٍ، وَصَارُوا مِثْلَ خُبْزٍ مَلَّةٍ لَمْ يُقَلَّبْ." وَعِنْدَمَا وَعَظَ هُوَ شَعْبًا بِالْقَوْلِ، "كَمَا الْكَاهِنُ هَكَذَا الشَّعْبُ"، صَرَخَ قَائِلًا، "أَيُّهَا الْكَهَنَةُ، لَا تُوَجِّهُوا إِصْبَعَ الْإِتِّهَامِ إِلَى أَيِّ إِنْسَانٍ آخَرَ، بَلْ أَنَا أُوَجِّهُ إِصْبَعَ الْإِتِّهَامِ نَحْوَكُمْ."

فَنَتِيجَةً لِعِبَادَتِهِمْ لِلْأوثَانِ، كَانُوا سَيُؤْخَذُونَ فِي السَّبْيِ: "قَدْ ابْتَلَعَ إِسْرَائِيلُ. الْآنَ صَارُوا بَيْنَ الْأُمَمِ كِنَانًا لَا مَسْرَةَ فِيهِ. لِأَنَّهُمْ صَعِدُوا إِلَى أَشُورَ" (٨: ٨-٩). لَقَدْ كَانَ السَّبْيُ الْأَشُورِيُّ مَأْسَاوِيًّا عَلَى الْمَمْلَكَةِ الشَّمَالِيَّةِ، لِأَنَّهَا لَنْ تَرْجِعَ إِلَى أَرْضِهَا ثَانِيَةً لِتَكُونَ مَمْلَكَةً. فَالَّذِينَ عَاشُوا مِنْهُمْ بَعْدَ الْإِجْتِيَاكِ وَالسَّبْيِ الْأَشُورِيِّ، تَشَتَّتُوا بَيْنَ أُمَّمِ الْأَرْضِ.

مَحَبَّةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَشْرُوطَةِ

لَقَدْ ذَهَبَ إِسْرَائِيلُ فِي السَّبْيِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَحَبَّهُمْ وَأَرَادَ أَنْ يُرْجِعَهُمْ فِي عَوْدَةٍ رُوحِيَّةٍ إِلَى نَفْسِهِ: "وَأَخْطُبُكَ لِنَفْسِي إِلَى الْأَبَدِ وَأَخْطُبُكَ لِنَفْسِي بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْمَرَاجِمِ. أَخْطُبُكَ لِنَفْسِي بِالْأَمَانَةِ فَتَعْرِفِينَ الرَّبَّ" (٢: ١٩ - ٢٠). إِنَّ هَذِهِ الْعَوْدَةَ الرُّوحِيَّةَ لِشَعْبِ اللَّهِ إِلَى الرَّبِّ، وَالتِّي تَنْبَأُ عَنْهَا الْأَنْبِيَاءُ، لَمْ تَتَحَقَّقْ بَعْدَ، وَلَكِنَّا لَا نَزَالُ نَنْتَظِرُ حُلُولَ آخِرِ الْأَيَّامِ لِنَشْهَدَ تَحَقُّقَ هَذِهِ النُّبُوءَةِ.

لَقَدْ كَرَّرَ هُوَ شَعْبًا بِفَصَاحَةٍ عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ قَائِلًا: لَا أُرِيدُ ذِبَاحَتَكُمْ، بَلْ أُرِيدُ مَحَبَّتَكُمْ؛ وَلَا أُرِيدُ تَقْدِمَاتِكُمْ، بَلْ أُرِيدُكُمْ أَنْ تَعْرِفُونِي. "وَلَكِي يَجْعَلُ قُلُوبَهُمْ مُسْتَقِيمَةً مَعَ اللَّهِ، وَعَظَ هُوَ شَعْبًا مِثْلَ إِرْمِيَا قَائِلًا: "إِحْرَثُوا أَرْضَ قُلُوبِكُمْ الْقَاسِيَةَ، فَإِنَّهُ وَقْتُ لَطْلِيبِ الرَّبِّ، حَتَّى يَأْتِيَ وَيُغِدِّقَ عَلَيْكُمْ خِلَاصَهُ. وَأَنْتَ فَارْجِعْ إِلَى إِلَهِكَ. إِحْفَظِ الرَّحْمَةَ وَالْحَقَّ وَانْتَظِرِ إِلَهَكَ دَائِمًا." (١٠: ١٢؛ ٦: ١٢).

التطبيق التعبدِّي الشخصي

رُغِمَ أَنَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَظِرَ تَحَقُّقَ عَوْدَةِ شَعْبِ اللَّهِ الْمُرْتَدِّ رُوحِيًّا إِلَى إِلَهِهِ، وَلَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَظِرَ أَيَّ شَيْءٍ لَنَرْجِعَ نَحْنُ أَنْفُسَنَا إِلَى إِلَهِنَا الْمُحِبِّ. إِنَّ الْمَقْطَعِ الْمُفَضَّلَ عِنْدِي مِنْ هُوشَعَ هُوَ أَفْضَلُ طَرِيقَةَ لَخْتَامِ هَذَا الْمُوجِزِ الْمُقْتَضِبِ لِلْبِرَامِجِ الْإِذَاعِيَّةِ الَّتِي سَمِعْتُمُوهَا عَنْ هُوشَعَ النَّبِيِّ:

"هَلَمْ نَرْجِعْ إِلَى الرَّبِّ لِأَنَّهُ هُوَ افْتَرَسَ فَيَشْفِينَا. ضَرْبَ فَيَجْبُرُنَا. يُحْيِينَا بَعْدَ يَوْمَيْنِ. فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يُقِيمُنَا فَنَحْيَا أَمَامَهُ. لِنَعْرِفَ فَلِنَتَّبِعْ لِنَعْرِفَ الرَّبَّ. خُرُوجُهُ يَقِينٌ كَالْفَجْرِ. يَأْتِي إِلَيْنَا كَالْمَطَرِ. كَمَا تَأَخَّرَ يَسْقِي الْأَرْضَ." (٦ : ١-٣).

الفصل الثاني

نُبُوَّةُ يُونِيل

إنَّ يُونِيل هو الثاني بينَ الأنبياءِ الصغار. ورسالةُ النبي يُونِيل تُرَكِّزُ على عبارةٍ استُخدمها هوَ وغيرُهُ من الأنبياءِ الصغار، وهي عبارة "يوم الرب". لقد دعا يُونِيل ضربةَ الجراد الرهيبة التي اجتاحت المملكة الجنوبية، دعاها "يوم الرب". وبينما كان يُسمِّي ضربةَ الجراد الحرفية هذه "يوم الرب"، ربطَ هذه الضربة أيضاً بالسبي البابلي الوشيك. وكما فعلَ الأنبياءُ الكبار مزجَ يُونِيلُ نُبُوَاتِهِ عن السبي البابلي مع نُبُوَاتِهِ عن المجيء الثاني للمسيح.

إنَّ النبي يُونِيل هو مألوفٌ بالنسبة للكثيرين، بسبب نُبُوَاتِهِ المميَّزة عن يوم الخمسين. فأولئك الذين كانوا حاضرين عند ولادة الكنيسة تساءلوا، "ماذا يعني هذا؟" فبدأ بطرس عظته يومَ الخمسين بالقول، "هذا ما جاء في يُونِيل النبي" (أعمال ٢: ١٢، ١٦). لقد وعظَ يُونِيلُ أن يومَ الربِّ بالنسبة لنا هو في أيامنا الماضية والحاضرة والمستقبلية في حياتنا.

ضربةُ الجراد

إفتتحَ يُونِيلُ سفرَهُ بوصفِ ضربةِ الجراد الساجفة التي اجتاحت المملكة الجنوبية. وعظَ يُونِيلُ قائلاً: "فضلةُ القمص أكلها الزحافُ وفضلةُ الزحاف أكلها الغوغاءُ وفضلةُ الغوغاء أكلها الطيَّارُ." (١: ٤). وهكذا جالت موجةُ الجرادِ في الأرض، مُجرِّدةً إيَّاهَا من النباتات الأخضر، غيرَ تاركةٍ وراءها إلا الخراب والدمار.

عندما أشارَ يُونِيلُ إلى ضربةِ الجراد هذه "كيوم الرب" (١: ١٥)، كان يجعلُ من يوم الربِّ حدثاً راهناً. فما الذي قصده يُونِيلُ عندما أشارَ إلى يوم الربِّ بهذه الطريقة؟ عندما رأى الضربةَ الرهيبة، وردَّ مصدرَ هذه الضربة إلى الربِّ، كان يُخبرنا أنَّ الله يسودُ في حياتنا، حتى في وسطِ مصائبنا. ثمَّ وافقَ يُونِيلُ مع باقي كُتَّاب الوحي الذين أخبرونا أنَّ الله مُمكن أن يكونَ القُوَّة الكامنة خلف ضيقَاتنا، كما خلف إزدهارنا. وبما أنَّ إجتياحَ الجراد الرهيب هذا جعلَ الشعبَ يظنُّونَ أنَّ الله تركهم، أعلنَ يُونِيلُ أنَّ الله حاضرٌ حتَّى في ذلك اليوم، ممَّا يعني أنَّه حتَّى زمنَ المصائب مُمكن أن يكونَ أحياناً "يوم الرب" بالنسبة للذين يُحبُّونَ الله، المدعوونَ حسب مقاصده" (رؤمية ٨: ٢٨).

السبي البابلي

إن زحفَ الجراد يتحرَّكُ كجيشٍ، راصّاً صُفُوْفَهُ ليقضيَ على كُلِّ ما يجدهُ في طريقه. لقد استخدَمَ يُونِيلُ الخراب الذي أحدثته "جيشُ" الجراد، لكي يلفتَ إنتباهَ شعبِ يهوذا

وَيُحْضِرُهُمْ لِنُبُوتِهِ عَنِ الْخَرَابِ الَّذِي سَيَشْهَدُونَهُ نَتِيجَةً لِاجْتِيَاكِ الْجَيْشِ الْبَابِلِيِّ لِبِلَادِهِمْ. كَتَبَ يُوثِيلُ يَقُولُ، "يَجْرُونَ كَأَبْطَالٍ. يَصْعَدُونَ السُّورَ كَرِجَالِ الْحَرْبِ وَيَمْشُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي طَرِيقِهِ وَلَا يُغَيِّرُونَ سُبُلَهُمْ. وَلَا يُزَاحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَمْشُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي سَبِيلِهِ وَبَيْنَ الْأَسْلِحَةِ يَقْعُونَ وَلَا يَنْكَسِرُونَ. يَتْرَاكُضُونَ فِي الْمَدِينَةِ يَجْرُونَ عَلَى السُّورِ يَصْعَدُونَ إِلَى الْبُيُوتِ يَدْخُلُونَ مِنَ الْكُوَى كَاللِّصِّ." (٢: ٧، ٩).

يَوْمُ الْخَمْسِينَ

بَعْدَ أَنْ أَعْلَنَ يُوثِيلُ أَنْ زَحَفَ الْجَرَادُ هُوَ يَوْمُ الرَّبِّ الرَّاهِنِ، وَأَعْلَنَ أَنَّ السَّبْيَ الْبَابِلِيَّ سَيَكُونُ يَوْمَ الرَّبِّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، بَدَأَ يَتَكَلَّمُ أَيْضًا عَنْ يَوْمِ آخِرِ الرَّبِّ، الَّذِي هُوَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ. كَتَبَ يُوثِيلُ كَلِمَاتِ نُبُوءَةِ اللَّهِ قَائِلًا: "وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَيَحْلُمُ شَيْوُخُكُمْ أَحْلَامًا وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤَى." (٢: ٢٨)

لَقَدْ تَحَقَّقَتْ هَذِهِ جُزْئِيًّا يَوْمَ الْخَمْسِينَ (أعمال ٢: ١-٤). نَقَرْنَا أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ حَلَّ عَلَى أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ مَعًا يَوْمَ الْخَمْسِينَ. عِنْدَمَا رَأَى الشَّعْبُ الْأَلْسِينَ الْمُنْفَسِمَةَ الَّتِي كَانَتْهَا مِنْ نَارٍ تَسْتَقِرُّ عَلَى رُؤُوسِ الرُّسُلِ، وَسَمِعُوهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَةٍ مَفْهُومَةٍ لَدَى كُلِّ الشَّعْبِ الَّذِي كَانَ يَتَكَلَّمُ لُغَاتٍ مُخْتَلِفَةً، وَعِنْدَمَا سَمِعُوا "صَوْتًا كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ"، سَأَلُوا بِطَرُسَ، "مَاذَا يَعْنِي هَذَا؟" فَأَجَابَهُمْ بِطَرُسَ، "هَذَا مَا قِيلَ بِيُوثِيلِ النَّبِيِّ." (أعمال الرُّسُلِ ٢: ١٦).

مَجِيءُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً

لَا حِظُّوا أَنَّهُ مِنْ جَلَالِ نُبُوءَةِ يَوْمِ الْخَمْسِينَ، يُخْبِرُنَا اللَّهُ عَنْ أُمُورٍ تَتَلَقُّ بِيَوْمِ الرَّبِّ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ، وَالَّتِي لَمْ تَتَحَقَّقْ يَوْمَ الْخَمْسِينَ:

"وَأَعْطِي عَجَائِبَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ دَمًا وَنَارًا وَأَعْمِدَةً دُخَانٍ. تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الْمَخُوفِ. وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَنْجُو." (٢: ٣٠-٣٢).

لَقَدْ تَنَبَّأَ يُوثِيلُ بِوُضُوحٍ عَنْ يَوْمِ الْخَمْسِينَ، وَإِذَا دَرَسْتَ نُبُوتَهُ عَنْ يَوْمِ الْخَمْسِينَ عَنْ كِتَابِ، سَوْفَ تَرَى أَنَّهُ كَانَ يَتَنَبَّأُ أَيْضًا بِأَحْدَاثٍ لَمْ تَتَحَقَّقْ يَوْمَ الْخَمْسِينَ. كَتَبَ أَحَدُ الْمُفَسِّرِينَ لِلْأَنْبِيَاءِ الصِّغَارِ يَقُولُ أَنَّ نُبُوءَةَ يُوثِيلِ هَذِهِ قَدْ سَبَقَتْ وَتَحَقَّقَتْ جُزْئِيًّا يَوْمَ الْخَمْسِينَ، وَلَكِنَّهَا سَتَتَحَقَّقُ كُلِّيًّا عِنْدَ مَجِيءِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً.

وَكَمَا فَعَلَ سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ، عِنْدَمَا تَحَقَّقَتْ نُبُوتَاتُ يُوثِيلِ حَرْفِيًّا عَنْ أَحْدَاثٍ مِثْلِ الْاجْتِيَاكِ الْبَابِلِيَّ أَوْ يَوْمِ الْخَمْسِينَ، فَبِإِمْكَانِنَا أَنْ نَشْعُرَ بِالْبَهْجَةِ لِتَحَقُّقِ هَذِهِ النُّبُوتَاتِ حَرْفِيًّا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، حِيَالِ مَجِيءِ الْمَسِيحِ ثَانِيَةً.

دعا بطرس يوم الربّ المُستقبليّ هذا "بيوم الربّ العظيم والمخوف". عندما كتب بطرس عن هذا اليوم، كان يركّز على واحد فقط من عدّة أحداثٍ ستكون جزءاً من سلسلة أحداثٍ مجيء المسيح ثانيةً. فبالنسبة لبطرس، عندما سيأتي هذا اليوم، "ستتحلّ العناصرُ مُحترقةً، وتحترقُ الأرضُ والمصنوعاتُ التي فيها" (٢ بطرس ٣).

التطبيقُ الشخصيّ

لم يكرزُ يُوئيلُ فقط عن يوم الربّ الحاضر والمُستقبل، بل حضّنا كشعبِ الله أن نكرزَ لجيلنا، من خلالِ إخبارِ أولادنا والأجيالِ الآتية عن يوم الربّ (١: ٢-٣). يحثُّنا يُوئيلُ لنُدركَ أنّ كلّ يومٍ في الماضي والحاضر والمُستقبل ينبغي أن يُعتَبَرَ كيومِ الربّ. وعندما نتذكّرُ كيفَ حوّلَ اللهُ ظُروفَ حياتنا الماضية لخيرنا، علينا أن نتمسكَ بهذه الثقة في ظُروفنا الحاضرة (رومية ٨: ٢٨).

ولكن لماذا يُريدنا اللهُ أن نعرفَ عن يوم الربّ العظيم والمخوف المُستقبلي؟ لِكَي نُفكّرَ بأي نوع من الناس ينبغي أن نكون. أصغوا لتطبيق بطرس الشخصي عندما يُخبرنا عن يوم الربّ الآتي: "لهذا، أيها الأحباء إذ أنتم مُنتظرون هذه، اجتهدوا لتُوجدوا عنده بلا دنس ولا عيبٍ في سلام. واحسبوا أناة ربنا خلاصاً." (٢ بطرس ٣: ١٤-١٥). إذ نتلّع إلى يوم الربّ الآتي، يُقدّمُ يُوئيلُ والأنبياء تطبيقاتٍ كالتالي قدّمها بطرس لأتباع المسيح.

الفصل الثالث

نُبُوَّةُ عَامُوسَ

كانَ عامُوسَ جَانِي جُمَيْرٍ وَرَاعٍ، مِنْ قَرْيَةٍ صَغِيرَةٍ إِسْمُهَا تَقْوَعٌ، تَبْعُدُ حَوَالِي عَشْرِينَ كِيلُومِتْرًا جَنُوبِي أُورُشَلِيمَ. دُعِيَ عَامُوسَ مِنَ اللَّهِ لِلذَّهَابِ شِمَالًا وَالْكَرَازَةَ فِي مَمْلَكَةِ إِسْرَائِيلَ الشَّمَالِيَّةِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهَا السَّبِي الْأَشُورِيِّ بِحَوَالِي خَمْسِينَ سَنَةً. مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ عَامُوسَ خَدَمَ فِي أَيَّامِ حُكْمِ الْمَلِكِ عَزْرِيَّا فِي الْمَمْلَكَةِ الْجَنُوبِيَّةِ، الَّذِي إِزْدَهَرَتْ أُمَّةُ يَهُوذاَ فِي ظِلِّ حُكْمِهِ، عَلَى الصَّعِيدَيْنِ الْعَسْكَرِيِّ وَالْمَادِيِّ. لَقَدْ كَانَ الشَّعْبُ مُقْتَنِعًا أَنَّكَ أَنْتَ لَمْ يَكُنْ أَيُّ عَدُوٍّ يَلُوحُ فِي الْأَفْقِ، وَلَا أَيُّ نَوْعٍ مِنَ التَّهْدِيدِ. وَلَكِنْ نُبُوَّةُ عَامُوسَ سَوْفَ تَتَكَلَّمُ ضِدَّ كُلِّ مَنْ أُمَّةُ يَهُوذاَ الْمُرْدَهْرَةِ، إِلَى جَانِبِ مَمْلَكَةِ إِسْرَائِيلَ الشَّمَالِيَّةِ.

دِينُونَةُ اللَّهِ قَادِمَةٌ

بَدَأَ عَامُوسَ نُبُوَّتَهُ نَاطِقًا بِكَلِمَاتٍ أَحَبَّ سُكَّانُ الْمَمْلَكَةِ الشَّمَالِيَّةِ سَمَاعَهَا، أَنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّبُ أَعْدَاءَهُمْ (١: ٣ - ٢: ٣). وَبَيْنَمَا يُعَدِّدُ عَامُوسَ هَذِهِ الْأَمَمَ وَيَعْظُ عَنْ دِينُونَةِ اللَّهِ الْآتِيَةِ عَلَيْهِمْ، يَبْتَهِجُ الشَّعْبُ بِسَمَاعِ رِسَالَتِهِ. لَقَدْ سُرُّوا بِأَنْ يَسْمَعُوا عَنِ الدِينُونَةِ الَّتِي سَيُنزِلُهَا اللَّهُ بِأَعْدَائِهِمْ. وَلَكِنْ سُرَّعَانَ مَا يَجْذِبُ عَامُوسَ إِنْتِبَاهَهُمْ بِوَعْدِهِ، حَتَّى أَخْبَرَهُمْ بِالْأَخْبَارِ السَّيِّئَةِ: إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذاَ كَانْتَا سَتُدَانَانِ أَيْضًا (٢: ٤ - ٨). لَقَدْ لَامَ عَامُوسَ يَهُوذاَ عَلَى رَفْضِهَا نَامُوسَ الرَّبِّ وَعَدَمِ حَفْظِ وَصَايَاهُ، وَلَا مَ إِسْرَائِيلَ عَلَى الطَّمَعِ، وَإِنْعَادِ الْعَدَالَةِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ، وَاللَّاأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي دَنَسَتْ إِسْمَ الرَّبِّ.

وَيَتَابِعُ عَامُوسَ نُبُوَّتَهُ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ مُتَنَبِّئًا عَنِ السَّبِي الْأَشُورِيِّ فَيَقُولُ:

"وَيَبِيدُ الْمَنَاصُ عَنِ السَّرِيعِ وَالْقَوِيِّ لَا يُشَدِّدُ قُوَّتَهُ وَالْبَطْلُ لَا يُنْجِي نَفْسَهُ. وَمَاسِكُ الْقَوْسِ لَا يَثْبُتُ وَسَرِيعُ الرَّجْلِينَ لَا يَنْجُو وَرَاكِبُ الْخَيْلِ لَا يُنْجِي نَفْسَهُ. وَالْقَوِيُّ الْقَلْبِ بَيْنَ الْأَبْطَالِ يَهْرَبُ عُرْيَانًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَقُولُ الرَّبُّ." (٢: ١٤ - ١٦).

عِنْدَمَا وَعَظَ عَامُوسَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ لِمَمْلَكَةِ إِسْرَائِيلَ الشَّمَالِيَّةِ، إِسْتَهْزَأُوا بِرِسَالَتِهِ عِنْدَمَا تَنَبَّأَ بِهَزِيمَتِهِمْ عَلَى يَدِ الْأَشُورِيِّينَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعِيشُونَ فِي مَرِحَلَةِ اِزْدِهَارٍ. وَلَقَدْ ذَكَرَ عَامُوسَ بَعْضَ الْمَهَارَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الَّتِي إِسْتَهْزَأَتْ بِهَا الْمَمْلَكَةُ الشَّمَالِيَّةِ. وَلَكِنْ بَعْدَ خَمْسِينَ سَنَةً، هَزَمَتِ الْمَمْلَكَةُ الشَّمَالِيَّةِ وَسَبِي كُلِّ شَعْبِهَا عَلَى يَدِ الْجَيْشِ الْأَشُورِيِّ.

لَقَدْ حَاوَلَ عَامُوسَ أَنْ يُحَوِّلَ السَّبِي الْأَشُورِيِّ بِتَقْدِيمِ فُرْصِ التَّوْبَةِ لِإِسْرَائِيلَ (٤: ٦ - ١٣). فَأَرْسَلَ اللَّهُ لَهُمَ الْجُوعَ، وَحَبَسَ عَنْهُمْ الْمَطَرَ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْأَوْبَةَ وَالْأَمْرَاضَ، وَرُغْمَ ذَلِكَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ (٤: ٨، ٩، ١٠، ١١). فَبِمَا أَنَّ إِسْرَائِيلَ لَمْ يُعْرِ اِنتِبَاهًا لِدَعْوَةِ

الله لهم للتوبة، تابَع عاموس يعظُ قائلاً أنَّ دينونةَ الله سوف تأتي لا محالة، وهذه الديونة ستكونُ مُستمرّةً، لأنَّ إسرائيلَ لن يرجعَ أبداً من السبي الأثوري.

الطريقة التي يتنبأ بها عاموس عن دينونةِ الله هي عن طريق تقديم خمس رؤى. فالدينونات التي نراها في أوّل إثنين من رؤاه، والتي صوّرت وبأ الجرادِ والنارِ المُحرقة، تمّ تفاديها عندما تضرّعَ عاموس طالباً رحمةَ الله (٧: ١-٦). ثمّ تأتي الرؤيا الثالثة للزيج، أو الخيط وثقال الرصاص، اللذين هما لإظهار مقدار استقامة الحائط. هذا أظهرَ لماذا كان الله غاضباً من شعبه: لم يكن شعبُ الله مُستقيمين، بل وجدّهم مُعوجّين، رافضين لناُموس الله، ممّا سبّب غضبه.

الرؤيا الرابعة كانت سلّة فاكهةٍ ناضجةٍ للإهتراء، الأمر الذي أظهرَ أنَّ دينونةَ الله كانَ ينبغي أن تأتي منذ زمنٍ طويل، وأن دينونةَ الله عليهم تُنبئُ عنها في الرؤيا الخامسة، حيثُ وقفَ الله على المذبح قائلاً، "إضرب تاج العمود حتى ترجف الأعتاب وكسرها على رؤوس جميعهم فأقتل آخرهم بالسيف. لا يهرب منهم هارب ولا يفلت منهم ناج." (٩: ١). في هذه الرؤيا، أظهرَ الله أنَّ حكمه على إسرائيل كانَ نهائياً. لن ينجو منهم أحدٌ، ولن يعفى عن أحد. وعلاوةً على ذلك، فإنَّ دينونةَ الله كانت وشيكةً الحدوث.

الإمّيازات الروحية تُضاعف المسؤولية

لم يُحيد عاموس يهوذا وإسرائيل من دينونةِ الله على الأمم. بدل ذلك، أخبرهم أنَّ دينونتهم ستكون أكثر قسوةً من دينونةِ الأمم الوثنيين. فقد كانت خطاياهم ذات عواقب وخيمة أكثر لأنهم كانوا يتمتعون بإمّيازاتٍ روحية، بسبب معرفتهم لكلمةِ الله، ورغم ذلك لم يلتزموا بالعيش بحسب وصايا وتعاليم كلمةِ الله. فبحسب عاموس، تُفاسُ المسؤولية الروحية بالنسبة للإمّيازات الروحية، وينبغي أن تُؤثّر إمّيازاتنا الروحية بشكلٍ ديناميكي على طريقة عيشنا وحياتنا.

فالذي نعمله حيال ما نعلمه، هو أكثر أهميّةً ممّا نعلمه. نحتاج أن نتذكّر أنَّ العيش بحسب ما نعلمه هو أكثر أهميّةً من إكتساب المعرفة. وبينما يظنُّ العالمُ العلماني أن المعرفة بحدّ ذاتها هي فضيلة، كررَ الأنبياءُ قائلين أن تطبيق المعرفة أو الحكمة هو الفضيلة.

الوعد بالرجوع

لقد وعظَ عاموس، كما فعل غيره من الأنبياء، عن الرجوع النهائي لشعبِ الله: "في ذلك اليوم أُقيم مظلة داود الساقطة وأحصن شقوقها وأقيم ردمها وأبنيها كأيام الدهر. لكي يرثوا بقية أئوم وجميع الأمم الذين دُعِيَ إسمي عليهم" (٩: ١١-١٢).

تتكلم هذه النبوة عن رجوع شعب إسرائيل روحياً إلى إلههم. إن هذا الرجوع الروحي
بمعنى التوبة، لم يتحقق بعد، وهو أكثر أهمية بنظر الله من العودة الجغرافية.

الفصل الرابع

نُبُوَّةُ عُوبَدِيَا

"هكذا قال السيد الرب عن أدوم... إني قد جعلتك صغيراً بين الأمم. أنت مُحْتَقَرٌ جداً. تكبُرُ قلبك قد خَدَعَكَ أَيُّهَا السَّاكِنُ فِي مَحَاجِي الصَّخْرِ رَفَعَةَ مَقْعَدِهِ الْقَائِلُ فِي قَلْبِهِ مِنْ يُحْدِرُنِي إِلَى الْأَرْضِ. إِنْ كُنْتَ تَرْتَفِعُ كَالنَّسْرِ وَإِنْ كَانَ عَشْكَ مَوْضُوعاً بَيْنَ النُّجُومِ فَمِنْ هُنَاكَ أُحْدِرُكَ يَقُولُ الرَّبُّ." (عُوبَدِيَا ٢-٤).

بهذه الكلمات يبدأ سفر عُوبَدِيَا. فَعَمَّنْ يَتَكَلَّمُ عُوبَدِيَا عِنْدَمَا يَذْكُرُ أَوْلَادَكَ الْمُتَكَبِّرِينَ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي مَحَاجِي الصَّخْرِ، وَالَّذِينَ يظُنُّونَ أَنَّ لَا أَحَدًا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْزِلَهُمْ مِنْ عَشِيمِهِمْ كَالنُّسُورِ؟ يظُنُّ الْبَعْضُ أَنَّ سَفَرَ عُوبَدِيَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَحْذِيراً لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ نَعِيشُ فِي الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ، لِأَنَّنا نَسْمَعُ الْيَوْمَ الْحَدِيثَ عَنِ إِرْسَالِ بَعَثَاتٍ لِإِكْتِشَافِ الْحَيَاةِ عَلَى كَوَاكِبٍ أُخْرَى. فِي الْأَجْيَالِ الْمَاضِيَةِ، كَانَتْ هَذِهِ الْأَعْدَادُ تُفَسَّرُ وَتُطَبَّقُ عَلَى أُسَاسِ أَنَّ اللَّهَ لَا يُرِيدُنَا أَنْ نَسْكُنَ فِي مَنَازِلٍ مُرْتَفِعَةٍ. فِي الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ، يُفَسِّرُ الْبَعْضُ هَذِهِ الْأَعْدَادَ كَالتَّالِي: "إِذَا تَكَبَّرْتَ بِسَبَبِ عِلْمِكَ وَتَقَنَّنَيْتَكَ، وَحَاوَلْتَ أَنْ تَجْعَلَ سَكْنَاكَ عَلَى الْكَوَاكِبِ الْأُخْرَى فِي الْفَضَاءِ، فَمِنْ هُنَاكَ سَيُضَعُّكَ وَيُحْدِرُكَ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ."

لَمْ يَكُنْ عُوبَدِيَا يَكْتُبُ عَنِ الْأَبْنِيَةِ الْمُرْتَفِعَةِ أَوْ الْفَضَاءِ الْخَارِجِي. بَلْ كَانَ يَشْتَعِلُ بِالغَضَبِ الْمُقَدَّسِ، مُوجِّهاً أَصْغَرَ سَفَرٍ بَيْنَ أَسْفَارِ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى شَعْبِ عَدَائِيٍّ، كَانَ قَدْ إِقْتَرَفَ أَعْمَالاً رَهِيْبَةً ضِدَّ شَعْبِ يَهُوذا، عِنْدَمَا سَقَطَتْ أُورُشَلِيمُ بِيَدِ الْبَابِلِيِّينَ.

طَرِيقَةُ أَدُومِ مُدَانَةِ

لَقَدْ تَكَلَّمَ اللَّهُ مِنْ خِلَالِ عُوبَدِيَا لِكَي يَدِينَنَّ أُمَّةً تُدْعَى "أَدُوم". لَقَدْ عَاشَ شَعْبُ أَدُومِ فِي مَكَانٍ بِإِمْكَانِكَ أَنْ تَزُورَهُ الْيَوْمَ، وَهُوَ يُعْرَفُ "بِالصَّخْرَةِ الْحَمْرَاءِ لِمَدِينَةِ بَتْرَا" فِي الْأُرْدُنِّ. صُخُورٌ حَمْرَاءٌ شَاهِقَةٌ، وَفَجَوَاتٌ وَمَغَائِرٌ مَحْفُورَةٌ فِيهَا عَلَى إِرْتِفَاعٍ أَكْثَرَ مِنْ مَائَتِي مِتْرًا، تَرْتَفِعُ عَلَى جَانِبِي الطَّرِيقِ الَّتِي تَسِيرُ عَلَيْهَا رَاكِباً عَلَى صَهْوَةٍ جَوَادٍ يَقُودُكَ عَبْرَ وَادٍ ضَيِّقٍ طَوِيلٍ يُؤَدِّي إِلَى بَاحَاتٍ وَاسِعَةٍ. هَذِهِ الْبَاحَاتُ الْوَاسِعَةُ كَانَتْ مَرَّةً مَدِينَةً تَأْوِي شَعْبَ أَدُومِ، الَّذِينَ كَتَبَ عُوبَدِيَا مُخَاطَباً إِلَيْهِمْ.

فَبَعْدَ أَنْ كَانَ الْأَدُومِيُّونَ يَغْزُونَ عَلَى مَدُنِ أَعْدَائِهِمْ وَيَسْلُبُونَ غَنَائِمَهُمْ، أَوْ يُغَيِّرُونَ عَلَى قَوَائِلِ التُّجَّارِ الْأَغْنِيَاءِ فِي الصَّحْرَاءِ، كَانُوا يُسْرِعُونَ لِلِإِحْتِمَاءِ فِي مَدِينَتِهِمْ بَتْرَا، حَيْثُ جَعَلُوا لِأَنْفُسِهِمْ مَغَائِرَ فِي أَعَالِي الصَّخْرِ الشَاهِقَةِ. وَكَانَ لَدَيْهِمْ سَلَالِمٌ مِنْ جِبَالٍ، يَتَسَلَّقُونَهَا إِلَى مَغَائِرِهِمْ ثُمَّ يَرْفَعُونَ هَذِهِ السَّلَالِمِ، مِمَّا يَجْعَلُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَنْ يُلَاحِظُوهُمْ. لِهَذَا

ظنُّوا أنَّ أحداً لن يستطيع تدميرهم. هذا ما عناه عُوبديا عندما قال، "تكبُّرُ قلبِك قد خدَعَكَ... لأنَّكَ تقولُ في قلبِك من يُحدِرُنِي إلى التُّرابِ؟" (٣).

فمن كان هؤلاء الأذوميون؟ لقد كانوا من نسل عيسو أخي يعقوب. يُخبرنا سفر التكوين أنَّ يعقوب وعيسو كانا توأمين، ولكن كانت لهما قيمٌ مُتناقضة وأسلوب حياةٍ مُختلفٍ بين الواحد والآخر. فبينما كان يعقوب مُخادِعاً، ولكنَّهُ كان أيضاً روحياً، كان عيسو دُنويّاً غير رُوحِيٍّ، أي ما نُسَمِّيهِ اليوم "بالرُّجل العِلْماني الدُنوي". هذا ما نراه مُصوِّراً بطريقةٍ مجازيةٍ في سفر التكوين، عندما باع عيسو بُكورِيتهُ ليعقوب بصدنٍ عدسٍ.

بينما أخذ نسل يعقوب إسمَ "إسرائيل" من يعقوب، وأصبحوا الشعب اليهودي، كان عيسو أباً لشعب أدوم، الذين صاروا أعداء اليهود الألداء. كان شعب أدوم يُكُون الكراهية لليهود، بسبب أخذ يعقوب بركة بُكورِيّة أبيهم عيسو عن طريق الحيلة والخداع، فانتَهزوا كُلَّ فُرصةٍ للتحالُفِ مع الأمم الأخرى للقضاء على اليهود.

كتب عُوبديا نبوتهُ القصيرة لكي يُنبئ بسقوط أدوم، ذلك النوع من السقوط الذي سيكُون نتيجةً مُباشرةً لكرههم وإضطهادهم لليهود. ولقد ألقى عُوبديا ثمانِي إتهاماتٍ ضدَّ أدوم. وهو يُكرِّرُ ثمانِي مرّاتٍ قوله للأذوميين، "كان ينبغي أن لا تفعلوا هذا." (وكان شعب أدوم قد سبقوا وعملوا هذه الأمور).

"كان ينبغي أن لا تنظرَ إلى يومٍ أخيك يومَ مُصِيبتهُ. وكان ينبغي أن لا تشمتَ ببني يهوذا يومَ هلاكهم. وكان ينبغي أن لا تفغرَ فمك وتفتخرَ يومَ الضيق. وكان ينبغي أن لا تدخلَ بابَ شعبي يومَ بليتهم. وكان ينبغي أن لا تنظرَ أنتِ أيضاً إلى مُصِيبتهِ يومَ بليته. وكان ينبغي أن لا تسلُبهُ وتمدِّ يداً إلى فُدرتهِ يومَ بليته. وكان ينبغي أن لا تقفَ على المفرق لتقطعَ مُنقلتيه ولا تسلّمَ بقاياهُ يومَ الضيق. وبما أنَّه كان ينبغي أن لا تفعلَ هذا، فإن يومَ الربِّ قادمٌ عليك."

يعتقدُ بعضُ المُفسرين أن عُوبديا كان يدينُ تصرفَ أدوم خلال سقوطِ أُورشليم زمن حُكمِ صدقيّا، عندما هُدمت المدينةُ كلياً، وشعبُ يهوذا إمّا دُبحوا أو أُخذوا أسرى إلى بابل. ولقد ساعدَ شعبُ أدوم البابليين بحصارِ أُورشليم، وشاركوا بنهب المدينة. وعندما هرب اليهودُ من الكارثة، كان الأذوميون يأسرونهم ويسلمونهم للبابليين.

ثمَّ إنَّتَقَلَ عُوبديا من هذا التأديب على أدوم، ليشارك غيرهُ من الأنبياء بالكرامة عن يوم الربِّ. فقال لشعب أدوم، "كما فعلتِ فِعْلُ بك" (١٥). وعندما تحقَّق هذا اليوم الذي تنبأ به، فُضِيَ على أمةِ أدوم نهائياً. ولقد تنبأ عُوبديا عن الوسيلة التي سيتخذيها الله لتدميرهم. فحلفواهم سوف ينقلون عليهم، ولن يبقَ شيءٌ من أمةِ أدوم: "ويكونُ بيتُ يعقوب ناراً وبيتُ يوسفَ لهيباً بيتُ عيسو قسّاً فيشعلونهم ويأكلونهم ولا يكونُ باقٍ من بيتِ عيسو"

(١٨). لقد تحققت هذه النبوة بحذافيرها، وإخفت أمة أدوم عن صفحات التاريخ، عندما قضى الرومان عليها نهائياً عام ٧٠ ميلادية.

التطبيق التعبدي

عبر كل الكتاب المقدس، نجد مقارنة بين الإنسان التقي والإنسان الشرير (المزمور ١: ٧: ١٣-٢٧؛ كورنثوس ٢: ١٤-١٦). فإن كنا نعرف قصة يعقوب وعيسو في سفر التكوين، وما قاله بولس الرسول عن هذا القصة، لن يصعب علينا أن ندرک أن هذه النبوة القصيرة لعوبديا تقارن مجازياً بين حياة الإنسان الروحي والإنسان الطبيعي غير الروحي (تكوين ٢٥: ٢٩-٣٤؛ ٢٧؛ رومية ٩: ١٠، ١١). إن حياة يعقوب هي نموذج للإنسان الروحي، لأنه من كل قلبه طلب الله وسعى وراء القيم والبركات الروحية.

نقرأ في سفر التكوين أنه عندما "تصارع" يعقوب مع ملاك الرب، تغير اسمه ليصبح إسرائيل: "لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت" (تكوين ٣٢: ٢٨). أما عيسو، فهو صورة عن الإنسان الطبيعي غير الروحي. وكونه باع بكريته (أي ميراث الإبن الأكبر)، بصحن عدس، كشف عيسو بذلك عدم نضجه وتصدع أولوياته الروحية. ولا ينبغي أن نستغرب أن قيم وأسلوب حياة عيسو يقود إلى شعب أدوم، تلك الأمة الشديدة العداوة لشعب وقيم ومقاصد الله.

عندما نسمع أولاً عن يعقوب وعيسو، نجدهما في رحم أمهما رفة. إن التطبيق المجازي لهذا الأمر هو أن إمكانية طبيعة كل من يعقوب وعيسو توجد في كل واحد منا.

يظهر لنا بولس هاتين الطبيعتين بشكل رائع في رسالته إلى الغلاطيين. كتب يقول أن الروح والجسد يتصارعان معاً بسبب تناقضهما. وعندما يستخدم بولس كلمة "جسد" يعني "الطبيعة الإنسانية بدون مساعدة الله." إن الروح القدس يمنحنا إمكانية لنكون روجيين مثل يعقوب، ولكن عندما يأتي الروح القدس ليملك فيها، فإن جسدنا، أي طبيعتنا البشرية، لن تلعى. بل هناك شخص مخصص على جعلنا روجيين، أضيف على أجسادنا. هذا هو ما يعطينا الإمكانية (يعقوب وعيسو). إن نبوة عوبديا الديناميكية تتحدثنا بالسؤال التالي: أية إمكانية أو طبيعة من الإثنين سوف نغذي؟

الفصل الخامس

نُبُوَّةُ يُونَانَ

يُخْبِرُنَا سَفْرُ يُونَانَ عَنِ نَبِيِّ دُعِيَ مِنَ اللَّهِ لِيُكْرِرَ بِالتَّوْبَةِ وَالخَلَاصِ لِأَعْدَائِهِ. لَقَدْ كَانَ يُونَانَ يَفْهَمُ طَبِيعَةَ اللَّهِ لِيَعْرِفَ أَنَّهُ إِذَا تَجَاوَبَ مَعَ دَعْوَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ أَعْدَاءَهُ سَيُخْلَصُونَ. إِنْ مَعْرِفَةُ يُونَانَ الشَّخْصِيَّةَ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ غَيْرَ الْمَشْرُوطَةَ هِيَ الَّتِي دَفَعَتْهُ لِيُقَرَّرَ عَدَمَ الذَّهَابِ إِلَى نِينَوَى، وَلِأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى نِينَوَى، قَرَّرَ أَيْضاً أَنَّهُ لَنْ يَقْتَرِبَ مِنْ مُحَضَّرِ اللَّهِ. وَبَدَلَ ذَلِكَ، حَاوَلَ الْهَرَبَ بَعِيداً عَنِ اللَّهِ، فَأَبْحَرَ عَلَى مَتْنِ سَفِينِيَّةٍ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ فَقط تَذْهَبُ بِالِاتِّجَاهِ الْمُعَاكِسِ، بَلْ أَيْضاً كَانَ مَقْصَدُهُ النَّهَائِيَّ أَبْعَدَ مِينَاءِ كَانَ بِإِمْكَانِ الْإِنْسَانِ أَنْ يُسَافِرَ إِلَيْهِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ، بَعِيداً عَنِ مَدِينَةِ نِينَوَى. (١ : ٣ ؛ ٤ : ٢ ، ٣).

كَانَتْ مَدِينَةُ نِينَوَى عَاصِمَةَ أَلْدِّ أَعْدَاءِ الْيَهُودِ الْقُدَامَى. وَالْفِطَائِعُ الَّتِي إِقْتَرَفَهَا الْأَشُورِيُّونَ لَمْ يَكُنْ لَهَا سَابِقَةٌ فِي التَّارِيخِ الْقَدِيمِ. لَرَبَّمَا يُونَانَ أَوْ أَفْرَادُ عَائِلَتِهِ مِنْ ضَحَايَا فِطَائِعِ الْأَشُورِيِّينَ. وَقَدْ يَكُونُ لَدَيْهِ سَبَبٌ كَافٍ لِكُرْهِهِ لِشَعْبِ نِينَوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا شَعْبَهُ.

يُونَانَ لَا يَذْهَبُ إِلَى مُحَضَّرِ اللَّهِ وَلَا يَخْرُجُ مِنْ مُحَضَّرِهِ (الإصحاح الأول)

إِنَّ أَنْبِيَاءَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَالْأَشْخَاصَ الْأَتْقِيَاءَ اتَّبَعُوا بِشَكْلِ عَامٍ نَمُودِجاً فِي عِلَاقَتِهِمْ مَعَ اللَّهِ. لَقَدْ ذَكَرْتُ هَذَا النَّمُودِجَ عِنْدَمَا تَأَمَّلْنَا بِخِدْمَةِ النَّبِيِّ إِشْعِيَاءَ. كَانَتْ لَدَيْهِمْ إِخْتِبَارَاتٌ مُؤَيَّرَةٌ فِي الْمَجِيءِ إِلَى مُحَضَّرِ اللَّهِ، وَعِنْدَهَا صَارَتْ لَدَيْهِمْ إِخْتِبَارَاتٌ مُثْمِرَةٌ فِي الذَّهَابِ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ. تُرِينَا قِصَّةُ اللَّهِ عَنِ يُونَانَ هَذَا النَّمُودِجَ مَعْكَوساً.

فِي الْإِصْحَاحِ الْأَوَّلِ مِنْ نُبُوَّةِ يُونَانَ الْقَصِيرَةِ هَذِهِ، نَقَرَأُ أَنَّهُ عِنْدَمَا كَلَّفَ اللَّهُ يُونَانَ بِالذَّهَابِ إِلَى نِينَوَى، رَفَضَ أَنْ يَذْهَبَ، وَعِنْدَمَا حَزَمَ أَمْرَهُ عَلَى عَدَمِ الذَّهَابِ إِلَى نِينَوَى، أَظْهَرَ لَنَا إِيمَانَهُ فِي هَذَيْنِ الْبُعْدَيْنِ فِي الْمَجِيءِ إِلَى مُحَضَّرِ اللَّهِ وَالذَّهَابِ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ. لَقَدْ عَرَفَ يُونَانَ أَنَّهُ نَتِيجَةٌ لِكُونِهِ قَدْ إِخْتَبَرَ دُخُولاً إِلَى مُحَضَّرِ اللَّهِ، عِنْدَهَا أَخَذَ تَكْلِيفاً بِالذَّهَابِ إِلَى نِينَوَى مِنْ أَجْلِ اللَّهِ. وَبِمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَادِراً، أَوْ بِالْأَحْرَى لَمْ يَكُنْ رَاغِباً بِالذَّهَابِ، أَعْلَنَ أَنَّهُ لَنْ يَذْهَبَ إِلَى نِينَوَى مِنْ أَجْلِ اللَّهِ، وَإِنْ سَجَاماً مَعَ قَرَارِهِ، أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ إِلَى مُحَضَّرِ اللَّهِ أَيْضاً.

بِمَا أَنَّ يُونَانَ كَانَ يُحَاوِلُ الْإِخْتِبَاءَ مِنَ اللَّهِ عِنْدَمَا رَكِبَ السَّفِينَةَ، نَزَلَ إِلَى قَعْرِ السَّفِينَةِ وَنَامَ نَوْمًا عَمِيقًا (١ : ٥). وَنَقَرَأُ أَنَّ اللَّهَ أَهَاجَ عَاصِفَةً قَوِيَّةً كَادَتْ أَنْ تُغْرَقَ السَّفِينَةَ. وَعِنْدَمَا أَصْبَحَ الْبَحَّارَةُ فِي دُعْرِ بِسَبَبِ الْعَاصِفَةِ وَيُصَلُّونَ لِأَلْهَتِهِمْ، كَانَ يُونَانَ يَعْطُطُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، مُحَاوِلاً الْهَرَبَ مِنْ نِينَوَى، وَمِنَ اللَّهِ، وَمِنَ مَشَاكِلِهِ عَنِ طَرِيقِ النَّوْمِ.

وعندما نزل رُبَّانُ السفينةِ وواجهَ يُونانَ الذي كان نائماً وسطَ العاصِفةِ، اعترَفَ يُونانُ أنَّ إلهَهُ هو الله الذي صنعَ البحرَ، وكان غاضباً منه، فأرسلَ هذه العاصِفةَ لأنَّهُ كان قد أرسلَ يُونانُ إلى نينوى، ورفضَ يُونانُ هذا التكليفَ الإلهي (٩-١٠). ولقد أخبرَ يُونانُ الرُبَّانَ أنَّ الطريقةَ الوحيدةَ لتهدئةِ غضبِ الله كانت بإلقاءِ يُونانِ من على متنِ السفينةِ إلى البحرِ، الأمرُ الذي نفَّذَهُ البَحَّارَةُ ولو على مَضَضٍ (١٥)، فهدأَ البحرُ الهائجُ فجأةً.

سُرَّعَانَ ما ألقىَ يُونانُ في البحرِ،، حتى هدأَ البحرُ تماماً، ممَّا جعلَ من النوتيَّةِ الوثنيين يُؤمنونَ بالله. فحتَّى عندما كان يُونانُ هارباً من وجهِ الله، استخدَمَهُ اللهُ لكي يتوبَ نُوتيَّةُ السفينةِ التي كادت أن تغرق. وعندَها نقرأ، "فخافَ الرجالُ من الربِّ خوفاً عظيماً ودَبَحُوا ذبيحةً للربِّ وندروا نُذوراً" (١: ١٦). ونقرأُ أيضاً أنَّ اللهَ أعدَّ سمكةً عظيمةً لتبتلعَ يُونانَ. ونقرأُ أن يونانَ بقيَ في جوفها ثلاثةَ أيَّامٍ وثلاثَ ليالٍ. فيُونانَ لم يدعُ هذه السمكةَ العظيمةَ حوتاً. بل كانت هذه السمكةُ العظيمةُ تدبيراً عجائبيّاً من الله، أعدَّها بطريقةً خارِقةً للطبيعة لهذا النبيِّ المُتمرِّدِ.

يُونانُ يدخلُ إلى حضرةِ الله (الإصحاح الثاني)

يُعَلِّمنا سفرُ يُونانِ أنَّه رُغمَ أنَّ اللهَ لا يُرغمنا على عملِ أيِّ شيءٍ - فهوَ يسمَحُ أن نستخدمَ الإرادةَ الحرَّةَ في إتِّخاذِ قراراتنا - ولكنَّهُ يضعُظُّ علينا بِقُوَّةٍ من خلالِ الظروفِ حتى نُقرِّرَ أنَّ مشيئَتَهُ هي الشيءُ الوحيدُ المعقولُ بالنسبةِ لنا لنعمَلَهُ. بإمكاننا أن نضعَ عنواناً للإصحاحِ الأوَّلِ من نُبوَّةِ يُونانِ الكلماتِ التالية، "أنا لا أريدُ!" ولكن بإمكانك أن تَضَعُ عنواناً للإصحاحِ الثاني الكلماتِ التالية، "أريدُ!"

لقد تطلَّبَ الأمرُ ثلاثةَ أيَّامٍ قضاها يُونانُ في بطنِ السمكةِ الكبيرة، قبلَ أن يأتيَ إلى التوبةِ عن الهُروبِ من دعوةِ الله. فالتوبةُ تعني، "أن أفكِّرَ ثانيَّةً"، أو "أن يكونَ لدينا تغييرٌ في الذهنِ والقلبِ والإرادةِ والإتِّجاهِ." إن فحوى الإصحاحِ الثاني هي أن يُونانَ تابَ في بطنِ تلكِ السمكةِ الكبيرة. ولقد صلَّى يُونانُ في بطنِ تلكِ السمكةِ. وإسترجعَ ذكري كُلِّ عددٍ من كلمةِ الله فكَّرَ بهِ في تلكِ المرحلةِ. وفي صلاتِهِ، إقتبسَ أو أشارَ لأكثرَ من ستينَ عدداً من كلمةِ الله، مأخوذةً من أيُّوب، مرثي إرميا، صموئيل الأوَّل، إرميا، مُلوك الأوَّل، وأعداداً كثيرةً من المزامير. هذا يعني أن ذهنَهُ كان مُشبعاً بكلمةِ الله، وأنَّهُ رنَمَ كُلَّ ترنيمةٍ إستطاع أن يتذكَّرَها عندما كانَ في بطنِ تلكِ السمكةِ الكبيرة.

الأمرُ المُهمُّ في هذه الصلاةِ الكتابيَّةِ كان توبتَهُ. فلقد تحوَّلَ يُونانُ من القولِ، "أنا لا أريدُ"، إلى القولِ ثلاثَ مرَّاتٍ "أنا أريدُ." فلقد أخبرَ اللهُ، "أريدُ أن أدخلَ مُجدداً إلى هيكلكِ" (٤)، أريدُ أن أدبَحَ لك ذبائحَ" (٩)، و"أريدُ أن أفِي بما نذرتهُ" (٩). ونتيجةً لتوبةِ يُونانِ، أمرَ اللهُ السمكةَ الكبيرةَ ففقدتِ يُونانَ إلى اليابسةِ.

يُونان يذهب من أجل الله (الإصحاح الثالث)

نقرأ في الإصحاح الثالث، "ثُمَّ صَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونانِ ثَانِيَةً" (١). فمن طبيعته الله الصَّبور، سَمِعَ يُونانُ دَعْوَةَ اللَّهِ ثَانِيَةً – دَعْوَةً بَقِيَتْ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ: "فَمَ إِذْهَبَ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادَى لَهَا الْمُنَادَاةَ الَّتِي أَنَا مُكَلِّمُكَ بِهَا." (٢)

هذه المرّة، بدل أن يهرب يُونان، أطاع دعوة الله وذهب إلى نينوى، وكرز برسالة الديونة من الله قائلاً: "بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى." (٤) فتأبّت المدينة كُلُّها وأمنت بالله، بما في ذلك الملك (٥، ٦). وبما أن المدينة تأبّت، "رجع الربُّ عن نيّته بالشرِّ الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه." (١٠) فعندما قال يُونانُ في النّهاية، "أريدُ،" كانت النتيجة أعظم حملة تبشيرية في تاريخ البشرية.

إن الرسالة الحقيقيّة في سفر يُونان تُوجدُ في الإصحاح الرابع، حيثُ نجدُ وصفاً لردّة فعل يُونان على هذه الحملة التبشيرية العجائبيّة. قد تظنُّ أن يُونان سيفرح كثيراً بأنّه حقّق بتبشيرِهِ توبةً مدينةً بكاملها ورجوعها لله، ولكنَّ يُونان لم يفرح أبداً بهذا. بل نقرأ أن خلاصَ أهل نينوى تسبّب ليُونان بالعُصبِ الشديد. فاحتجَّ يُونانُ أمامَ الله قائلاً، "أه يا ربُّ أليسَ هذا كلامي إذ كنتُ بعدُ في أرضي. لذلك بادرتُ إلى الهربِ إلى ترشيش لأني علمتُ أنّك إلهٌ رؤوفٌ ورحيمٌ بطيءُ العُصبِ وكثيرُ الرحمة ونادمٌ على الشرِّ. فالآن يا ربُّ خذْ نفسي مِنِّي لأنَّ موتي خيرٌ من حياتي." (٢، ٣) بكلماتٍ أخرى، "أفضلُ أن أموتَ على أن أراك تُخلصُ هذا الشعب."

النبيُّ ذو الأحكامِ المُسبّقة

فما بال هذا النبي يتجاوب بهذه الطريقة الرديئة مع توبة أهل نينوى؟ لقد كانت لديه مُشكلة الأحكام المُسبّقة، أو الإدانة للآخرين. لقد شعرَ يُونان برغبته بالدينونة لأهل نينوى، لأنّه كان يكرههم. لهذا غضبَ عندما خلّصهم الله. وهكذا ظهرَ حُكمُ يُونان المُسبق بالدينونة على نينوى من خلالِ اعترافِهِ في بداية الإصحاح الرابع، أنّه هربَ من دعوة الله، لأنّه عرفَ أن الله مُحبٌّ وسيُخلصُ مدينةَ نينوى إذا أطاعَ هو الله وبشّرَ هناك.

مقابل غضبِ يُونان، أعطاهُ الله درساً عملياً بيانياً. فبينما تساهلَ يُونانُ مع غضبه وغيظه لأنَّ الله خلّصَ أعداءَهُ، بنى لنفسه عِزّاً على تُلّةٍ مُطلّةٍ على نينوى. وكان لا يزالُ يأملُ بأن يُدمِرَ الله هذه المدينة الشريرة. وإذ كانت أشعةُ الشمسِ تُضايقُ يُونان، أنبتَ الله يقطينةً كبيرةً غطّت عِزّاً يُونان وظلّته من حرارة الشمس. فسرَّ هذا يُونانُ جداً. ولكن فيما بعد، أرسلَ الله دودةً فأكلتُ جذورَ اليقطينة، وبيستها. فإغتاظَ يُونانُ جداً.

فقالَ اللهُ لِيُونانَ، "هل اغتظتَ بالصوابِ من أجلِ اليقطينةِ التي لم تتعبَ فيها ولا ربَّيتهاِ التي بنتَ ليلَةَ كانتِ وبنْتَ ليلَةَ هَلَكْتَ. أفلا أشفقُ أنا على نينوىِ المدينةِ العظيمةِ التي يُوجدُ فيها أكثرُ من مائةٍ وعشرينَ ألفاً من الناسِ الذين لا يعرفونَ يمينَهُم من شمالِهِم وبهائم كثيرة؟" (٤ : ١١). يعتقدُ الكثيرُ من المُفسِّرينَ أنَّ هؤلاءِ المائةِ وعشرينَ ألفَ نسمةٍ يُمكنُ أن يكونوا أطفالَ نينوىِ الذي لم يصلوا بعد إلى عُمرِ إعطاءِ الحِسابِ عن النفسِ. الحقيقةُ المُهمَّةُ هنا هي أنَّ اللهُ تحدَّى قِيَمَ وألويَّاتِ يونانَ، نبيِ الأحكامِ المُسبقةِ.

المُشكلةُ العقبيةُ

عندما بدأنا دِرَاسَتنا لِلأنبياءِ، قلنا أن واحدةً من مُهمَّاتِ النبيِّ كانتِ إزالةُ العقباتِ والمشاكلِ التي كانتِ تعرِّضُ سبيلَ عملِ اللهِ في هذا العالمِ. هُنَا كانتِ العقبَةُ التي أعاقَتِ عملَ اللهِ العجائبي الذي أرادَ أن يعملَهُ في نينوىِ، هي نبيِ الأحكامِ المُسبقةِ، يونانَ.

وكما تعلَّمنا من سفرِ هُوشَع، فإنَّ محبَّةَ اللهِ هي غيرُ مشروطةٍ وغيرُ مؤسَّسةٍ على الأداءِ الإيجابيِ أو السلبيِّ للمحبوبِ. فإذا أحبَّ اللهُ شعباً وكرهَ نبيُّ اللهِ هذا الشعبَ نفسه، كيفَ يُمكنُ عندها أن يستخدِمَ اللهُ هذا النبيَّ لإعلانِ محبَّتِهِ لهذا الشعبِ؟

التطبيقُ الشخصي

هل ترى نفسك في هذه القصة؟ وهل تهزَّب من الدعوة التي وضعها اللهُ في حياتك؟ وماذا سيتوجَّب على اللهِ أن يرسلَ لكِّي يجعلك تَريدُ أن تُطيعَهُ؟ تعلَّم من حياةِ النبيِّ يونانَ - النبيِّ الذي لم يُردَ أن يذهبَ إلى نينوىِ ولم يُردَ أن يأتيَ إلى محضِرِ اللهِ- أنَّ اللهُ يستخدِمُ ظروفَ حياتنا لكي يقودنا إلى إرادتِهِ لحياتنا، رُغمَ أو أحياناً بسببِ عدمِ إرادتنا بإتباعِهِ. لاحظْ أن سفرَ النُّبوةِ القصيرِ هذا مملوءٌ بالإشاراتِ إلى عنايةِ اللهِ: الربُّ يرسلُ عاصفةً قويَّةً، يُعدُّ سمكةً كبيرةً، يُنمي يقطينةً، ويرسلُ دودةً. هل تستطيعُ أن ترى عنايةَ اللهِ تعملُ في ظروفِ حياتك؟

إنَّ البُعدَ الأكثرَ حيويَّةً في هذه النُّبوةِ القصيرةِ والمؤثِّرةِ يتجلَّى عندما نُدركُ أنَّ يونانَ كتبَ هذا السفرَ بشكلٍ جعلهُ يبدو غريباً. لقد كتبَ يونانُ أهمَّ فصلٍ من فُصولِ حياتِهِ وخدمتِهِ كَنبيِّ اللهِ. وهو يُخبرنا، بطريقةٍ مُنكرةٍ للذاتِ، كيفَ تعلَّم في مدينةِ نينوىِ عن محبَّةِ اللهِ غيرِ المشروطةِ للخُطاةِ، وعن موقفِ الحُكمِ المُسبقِ بالدينونةِ في قلبِ يونانَ ضدَّ نينوىِ، الأمرِ الذي أعاقَ التعبيرَ عن محبَّةِ اللهِ.

إنَّ يونانَ يُشاركُ معنا في هذا السفرِ الذي يحملُ اسمَهُ بإعترافِ نبيِّ صادقٍ. لقد كانَ يُحاولُ يونانَ أن يقولَ لنا، "أنا لم أكنُ محبَّةً اللهُ "أغابني" عندما كُنْتُ في نينوىِ، ولكنَّ اللهُ كانَ محبَّةً، وهو كانَ معي. أنا لم أقدرُ أن أحبَّ أهلَ نينوىِ، أما اللهُ فيقدرُ أن يُحبَّهُم، وهو كانَ

معي. أنا لم أُرِدْ أن أُحِبَّ أهلَ نينوى، ولكنَّ اللهَ أرادَ أن يُحِبَّهُم، وهو كانَ معي. أنا لم أُحِبَّ
أهلَ نينوى، ولكنَّ اللهَ أحبَّهُم من خِلالِي، لأنَّهُ كانَ معي."

فهل من المُمكِن أن يُريدَ اللهُ أن يُحِبَّ من خِلالِكَ خاطئاً شَريراً لا يَتَّقِيهِ، ولا يُحِبُّهُ،
ولكنَّ حُكْمَكَ المُسَبِّقَ بالديُونَةِ عَلَيْهِ، وَكُرْهَكَ لَهُ، يُعِيقَانِ مَحَبَّةَ اللهِ وَخِلاصَهُ الَّذِينَ يُرِيدُ أَنْ
يُشارِكَهُمَا معَ هذا الشخصِ أو معَ هذا الشعبِ؟ هل تستطيعُ أن ترى نَفْسَكَ في هذا
الإعترافِ البسيطِ والصريحِ لِنَبِيِّ الأَحْكامِ المُسَبِّقَةِ؟

الفصل السادس

نُبُوَّةُ مِيخَا

يذكر سفر ميخا ثلاثة مواضع رائعة للنبي ميخا. وُلِدَ ميخا وتربى في منطقة ريفية زراعية، ولكنه دُعي من الله ليعظ في العاصمتين، السامرة وأورشليم، وأن ينطق بكلمة الله للقادة السياسيين والروحانيين في عاصمتي المملكتين، مملكة إسرائيل الشمالية، ومملكة يهوذا الجنوبية. ولقد ضمَّ صوته إلى أنبياء آخرين في إلقاءه لائمة الفساد الأخلاقي والروحي وسط شعب الله على القادة الروحانيين والسياسيين في هاتين المملكتين.

عِظَةُ مِيخَا الْأُولَى (١ : ٣-٥)

وجَّه ميخا عِظَتَهُ الْأُولَى لِكُلِّ شُعُوبِ الْأَرْضِ، دَاعِيًا إِيَّاهُمْ لِيُشَاهِدُوا كَيْفَ سَيُعَاقِبُ اللَّهُ السَّامِرَةَ، عَاصِمَةَ الْمَمْلَكَةِ الشَّمَالِيَّةِ، وَأُورُشَلِيمَ، عَاصِمَةَ مَمْلَكَةِ يَهُوذَا الْجَنُوبِيَّةِ. وَبِمَا أَنَّ شَعْبَ اللَّهِ إِخْتَارُوا أَنْ لَا يَتَّبِعُوا طَرِيقَهُ، كَانَ اللَّهُ يُخَطِّطُ لِتَأْدِيبِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ: "هَأَنَذَا أَفْتَكِرُ عَلَى هَذِهِ الْعَشِيرَةِ بِشَرٍّ لَا تَزِيلُونَ مِنْهُ أَعْنَاقَكُمْ وَلَا تَسْلُكُونَ بِالتَّشَامُخِ لِأَنَّهُ زَمَانٌ رِدِيءٌ" (٢ : ٣). إِنْ هَذَا الْعَدَدُ يُشِيرُ صِرَاحَةً إِلَى الْإِجْتِيَاخِينَ وَالسَّبِييين الْأَشُورِيِّ وَالْبَابِلِيِّ. فَمِنْ خِلَالِ هَذَيْنِ السَّبِييين، سَوْفَ يُعَاقِبُ اللَّهُ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا، وَسَيَكُونُ هَذَا التَّأْدِيبُ تَعْبِيرًا عَنِ قَدَاسَةِ اللَّهِ بِإِظْهَارِ عَدَمِ تَسَاهُلِهِ مَعَ الشَّرِّ وَتَعْبِيرًا عَنِ مَحَبَّةِ اللَّهِ كَابِ أَمِينٍ لِأَوْلَادِهِ الْمُتَمَرِّدِينَ.

إِنَّ تَأْدِيبَ اللَّهِ لِشَعْبِهِ الْمُخْتَارِ عَلَى وَثْنِيَّتِهِمْ، وَلَا أَخْلَاقِيَّتِهِمْ وَإِنْحِطَاطِهِمُ الرُّوحِي، سَيُظْهِرُ لِلْعَالَمِ أَجْمَعِ أَنََّّهُ يُطَالِبُ بِمُسْتَوًى رَفِيعٍ مِنَ النَّقَاوَةِ فِي الْمَسْلُوكِ. إِنْ مَجَدَّ اللَّهُ سَوْفَ يُعْلَنُ أَيْضًا مِنْ خِلَالِ إِرْجَاعِ الشَّعْبِ فِي النِّهَائِيَّةِ، الْأَمْرُ الَّذِي تَكَلَّمَ عَنْهُ مِيخَا فِي نِهَائِيَّةِ هَذِهِ الْعِظَةِ: "إِنِّي أَجْمَعُ جَمِيعَكَ يَا يَعْقُوبَ. أَضْمُ بَقِيَّةَ إِسْرَائِيلِ." (٢ : ١٢)

عِظَةُ مِيخَا الثَّانِيَّةِ (٣ : ١ - ٥ : ١٥)

يُوجِّهُ مِيخَا عِظَتَهُ الثَّانِيَّةَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مِنْ قَادَةِ شَعْبِ اللَّهِ: الْكَهَنَةَ، الْأَنْبِيَاءَ، وَالْقَادَةَ السِّيَاسِيِينَ. وَمُهَمَّةُ الْكَاهِنِ الرَّئِيسِيَّةِ كَانَتْ أَنْ يُعَلِّمَ، وَمُهَمَّةُ النَّبِيِّ الرَّئِيسِيَّةِ كَانَتْ أَنْ يَحْتَّ الشَّعْبَ عَلَى الطَّاعَةِ، وَمُهَمَّةُ الْحَاكِمِ الرَّئِيسِيَّةِ كَانَتْ أَنْ يَضَعَ قَوَانِينِ اللَّهِ الْأَخْلَاقِيَّةَ مَوْضِعَ التَّنْفِيزِ. فِي أَيَّامِ مِيخَا، الْمَشْكِلةُ الْعَقَبَةُ الَّتِي كَانَتْ تُعِيقُ عَمَلَ اللَّهِ كَانَتْ أَنَّ الْمُسْتَوِيَاتِ الثَّلَاثَةَ لِهَذِهِ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْقَادَةِ كَانَتْ مَضْرُوبَةً بِالْفَسَادِ.

فَبَدَلَ أَنْ يُعَلِّمَ الْكَهَنَةُ وَيُكْمِلُونَ نَامُوسَ اللَّهِ الْأَدْبِي أَمَامَ الشَّعْبِ، إِخْتَارَ هَؤُلَاءِ الْكَهَنَةَ أَنْ يُعَلِّمُوا لِكَسْبِ الْمَالِ، أَيْ أَنَّهُمْ كَانُوا "يُعِظُونَ لِأَجْرَةٍ" (٣ : ١). لَقَدْ جَعَلُوا مِنْ دَعْوَةِ

الكهنوت مهنةً، وأصبح إهتمامهم الأول المال الذي يكسبونه. فإنزعج ميخا من جعل الكهنوت عالمياً دنيوياً، إذ كان تعليم الكهنة لأجرة قد جعل منهم مهنيين مرتدين.

ثم يوبخ ميخا القادة الأخلاقيين، أي الأنبياء، لأنهم يتنبأون من أجل المال؛ "أنبيأؤها يعرفون بالفضة" (٣: ١١). فهم لم يحولوا دعوة النبوة إلى مهنة فقط، بل إلى شعوة. فكانوا يكرزون بأحلامهم الخاصة، بدل الإعلانات النبوية، وكانوا يستخدمون شهرتهم كأنياء ليحصلوا ربحاً مادياً. فإذا دفع لهم القليل من المال، كانوا يتنبأون بالدينونة الرهيبة على الناس، وإذا دفع لهم الكثير، كانوا يتنبأون بأمور حسنة للذين استأجروهم.

ولقد كان القادة المدنيون فاسدين أيضاً، "رؤساؤها يقضون بالرشوة" (٣: ١١). فحسب كمية الرشوة التي كانت تدفع لهؤلاء القادة المدنيين، كانوا يطلقون أحكامهم القضائية. إن فساد القادة المدنيين كان ولا يزال ظاهرة بارزة في العالم، حتى في أيامنا.

كان إهتمام ميخا الرئيسي هو، بما أن الكهنة كانوا يعلمون من أجل أجرة، فإن شعب الله بالنتيجة تشوشوا لأنهم لم يسمعوا كلمة الله. وبما أن الأنبياء كانوا يتنبأون من أجل المال، فإن شعب الله لن يتسنى له أن يسمع كلمة الله. وبما أن القادة المدنيين كانوا فاسدين، فإن الشعب خاب أمله وفقد ثقته بحكومته، قانوناً ونظاماً.

شدد ميخا على حقيقة أن الله أوكل مهمة الحكم للشعب، ولكن الحكومة المعينة من الله تستطيع أن تنجح فقط إذا كان المسؤولون عن تسييرها منسجمين مع خطة الله للقادة الروحيين والسياسيين على هذه المستويات الثلاثة. فإن كان القادة على هذا المستويات الثلاثة فاسدين، فإن مقاصد الله للحكم ستسقط. وبما أن القادة الروحيين والسياسيين في أيام ميخا لم يكونوا منسجمين مع مقاصد الله، ألقى عليهم ميخا ملامة الانحطاط الأخلاقي والروحي في الشعب.

حلّ الله النهائي

بعد أن تعامل ميخا مع فشل الحكم في إسرائيل ويهوذا، قدّم رسالة رجاء لشعب الله، ولكل أمم العالم من خلال نبوة مسياوية. فتنبأ عن مجيء المسيح، الذي "سيقف ويرعى بقدرة الرب بعظمة اسم الرب إلهه وينبئون. لأنه الآن يتعظم إلى أقاصي الأرض. ويكون هذا سلاماً." (٥: ٤ - ٥).

حيث فشلت الحكومة البشرية في أورشليم والسامرة، فإن سيادة المسيح النهائية لن تفشل، وسوف يحقق السلام الحقيقي لشعبه. وسوف يكون مثلاً كاملاً للنبي، الكاهن، والملك. تُقدّم خاتمة عظة ميخا الثانية المسيح كالحاكم الكامل. فهو سيُدشّن ملكوتاً جديداً لن

يزول ولن ينتهي. لهذا، عندما جاء المسيح إلى الأرض، طرح التلاميذ عليه السؤال تكراراً عن متى سيؤسس ملكوته الأبدي الكامل (أعمال الرسل ١: ٦).

عظة ميخا الثالثة (الإصحاحين السادس والسابع)

هنا يُقدّم ميخا محاكمةً مجازيةً بين الله والإنسان. يعظ قائلًا: "اسمعوا ما قاله الرب. قم خاصمٌ لدى الجبال ولتسمع التلال صوتك. اسمعي خُصومةَ الرب أيتها الجبال ويا أسس الأرض الدائمة فإن للرب خُصومةً مع شعبه وهو يُحاكم إسرائيل" (٦: ١-٢).

بينما يُقدّم ميخا إتهامات الله ضد إسرائيل، يُذكرُ الله إسرائيل بلطفه نحوهم عندما أخرجهم من أرض مصر، وأعطاهم موسى وهرون ومريم ليمثّلوهم (٤).

وبما أن شعب إسرائيل ردّوا على إحسان الله نحوهم بعبادتهم آلهة أخرى، وبالإنصياح وراء شهواتهم، مثل ميخا حالة الإنسان أمام الله في المحاكمة: "بِمَ أتقدّم إلى الرب وأنحني للاله العلي. هل أتقدّم بمحرقاتٍ بعجولٍ أبناء سنة. هل يسرُّ الربُّ بألوف الكباش بربوات أنهار زيت. هل أعطي بكري عن معصيتي ثمرة جسي عن خطية نفسي؟" (٦: ٦، ٧).

إن إتهام ميخا ضدّ خطايا إسرائيل التي ردّوا بها على إحسانات الله، جعل منهم غير مؤهلين للدفاع عن أنفسهم. فقال أنه لن تُوجد محرقةٌ كافيةٌ للتكفير عن خطاياهم.

إن الإتهام الذي يليه ميخا في هذا المحاكمة العظيمة، حضر مستمعيه إلى خلاصة رسالته حيث يقول، "قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح. وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعا مع الهك" (٨).

بعد أن ألقى ميخا هذه الإتهامات على شعبه، وبعد تساؤل ميخا عما يمكنهم أن يعملوه لإرضاء الله، أظهر الله لميخا أنه ليس بمقدور الإنسان أن يعمل شيئاً للتكفير عن خطاياهم. فقط بالنعمة يمنح الله قلب الإنسان المنسحق ندماً، يمنحه عُفراناً لخطاياهم.

وتُختتم عظة ميخا الثالثة أيضاً بإعلان نبوي. إذ يتنبأ ميخا عن آخر الأيام قائلًا: "ينظرُ الأمم ويخجلون من كل بطشهم. يضعون أيديهم على أفواههم وتصم آذانهم. ... يأتون بالرب إلى الرب الهنا ويخافون منك" (٧: ١٦، ١٧).

هنا أيضاً نرى مجيء المسيا الذي سيحكم الأمم. وكما يقول ميخا في نبوته، فإن هذا المسيا الحاكم سيكون رحوماً تجاه شعبه المختار: "لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنه يسرُّ بالرفقة. يعوذ يرحمنا يدوس أثامنا وتطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم. تصنع الأمانة ليعقوب والرفقة لإبراهيم اللتين حلفت لآبائنا منذ القدم." (١٨ - ٢٠).

إنَّ الإلهَ الذي يتكلَّمُ عنهُ ميخا هو إلهُ رحمةٍ ومحبَّةٍ وحنانٍ. ويُشَدِّدُ ميخا على كوننا لا نُحَصِّلُ أو نكتَسِبُ محبَّةَ الله بأعمالنا الإيجابية الصالحة، لأنَّها محبَّةُ الله لا تُكتَسَبُ إلا بالنَّعمة. وكذلك لا نخسرُ محبَّةَ الله بأعمالنا السلبية السيئة.

إذا أحسنَّا فهمها، فإنَّ رسالةَ الأنبياء هي رسالةُ رجاءٍ، لأنَّها مبنيةٌ على أساسِ محبَّةٍ ونعمةٍ الله. ولكنَّ محبَّةَ ونعمةَ أبينا السماوي تتوازنُ مع عدله – ذلك العدل الذي يُمكنُ إرضاءَهُ فقط بثمنِ موتِ ابنِ الله البار، لكي نتمتَّعَ نحنُ بمحبَّةٍ ونعمةٍ الله الكاملة للأبدية.

الفصل السابع

نُبُوَّة نَاخُوم

الخلفية التاريخية

الأنبياء الذي كتبوا أسفاراً نبويّة في العهد القديم، يأتون على ذكر إحتلال أربع مدن: أورشليم، السامرة، بابل، ونيوى. كانت أورشليم عاصمة مملكة يهوذا الجنوبيّة، والسامرة عاصمة مملكة إسرائيل الشماليّة. أمّا بابل ونيوى، فكانتا عاصمتي الأعداء. وكما رأينا، فإنّ وعظ يونان أدّى إلى توبة وخلص نيوى. ونُبُوَّة نَاخُوم تُعلن الويل والإبادة على مدينة نيوى نفسها. جاء نَاخُوم بعد يونان بحوالي مائة وعشرين سنة.

بينما يتكلّم سفر يونان عن توبة نيوى، التي كانت عاصمة ألد أعداء إسرائيل، بعد ستين سنة من توبة نيوى نتيجة لشارة يونان، زحف أهلها الأشوريون على مملكة إسرائيل الشماليّة واحتلوها وأخذوا الأسباط العشرة في السبي إلى آشور. وبعد حوالي ستين سنة من السبي الأشوري، تنبأ نَاخُوم عن الدينونة الآتية على نيوى لإبادتها. إنّ هذه التنبؤات الرهيبة التي نطق بها نَاخُوم تحققت بحذافيرها بعد ثلاث وعشرين سنة من كتابتها.

لقد قام الأشوريون بإحتلال واستعباد شعوب العالم المعروف آنذاك بقسوة وفضاظة لا مثيل لها. ولم يسبقهم أحد بمثل بربريتهم ووحشيتهم مما جعل منهم قوة عظيمة يخشاها العالم بأسره. لقد كانت نيوى عاصمة الإمبراطورية الأشوريّة، مدينة عظيمة، وكانت تُدعى ملكة مدن الأرض. فتنبأ نَاخُوم عن إبادة هذه المدينة عن وجه الأرض.

نَاخُوم يُعلن خراب نيوى (الإصحاح الأوّل)

في الإصحاح الأوّل من سفر نَاخُوم، نجد الويل يُعلن على نيوى. ولكون المدينة مبنية على نهرين، تنبأ نَاخُوم أنّ نيوى ستسقط لأنّ النهر سوف يفيض عليها ويُحطم سورها. هذان النهران كانا يُعززان قوة المدينة بحماية محيطها، ولكن نَاخُوم تنبأ أنّ الرب سوف يحول من مصدر حماية المدينة سبباً لخرابها، وذلك بفيضان النهرين عليها (١ : ٨).

يعني اسم نَاخُوم "مملوء بالتعزية"، ورسالته كانت سبباً للتعزية للمملكة الجنوبيّة. كان الأشوريون قد سبقوا واحتلوا المملكة الشماليّة، فخافت المملكة الجنوبيّة أن يندرج الأشوريون جنوباً ويتابعوا إحتلالهم. وبعد أن إحتل الأشوريون المملكة الشماليّة، وأخذوها إلى السبي، إندرجوا بالفعل نحو الجنوب بهدف إحتلال المملكة الجنوبيّة. فاحتلوا ستة وأربعين مدينة مسورة وأخذوا إلى السبي مائتي ألف أسير.

وكما تعلمنا عندما درسنا نبوة إشعياء، عندما وصل الأشوريون إلى أبواب أورشليم، أنقذت المملكة الشماليّة من براثنهم من خلال خدمة النبي العظيم إشعياء. وعلى الرغم من ذلك الانتصار، بقيت المملكة الجنوبيّة خائفةً من اجتياح آشوري. بإمكانك أن ترى أن نبوة ناحوم القائلة أنه "ولو كانوا في أوج قوتهم وكثرتهم، فرغم ذلك سوف يقطعون ويأدون،" قد أدت التعزية والسلام والرجاء لأرض يهوذا (١١).

ناحوم يصف خراب نينوى (الإصحاح الثاني)

لقد وصف ناحوم حرفياً سقوط نينوى في الإصحاح الثاني من سفره. يصف ناحوم حتى ألوان ثياب جيش العدو الذي سيسقط نينوى، وإنعكاس أشعة الشمس على دروعهم (٢: ٣). وهو يصف بشكل حيويّ تسارع المركبات وتراكم الرجال في الطرقات هرباً من هذا الحدث المرعب لمدينة يتم فناؤها (٢: ٤). ولقد تنبأ عن الطريقة التي ترك بها الجنود مدينتهم ووطنهم بدون أن ينظروا إلى الوراء (٢: ٨). وبحسب قول ناحوم، فإن الملكة قد جردت من ثيابها واقتيدت مقيدةً بالسلاسل إلى السبي (٧). ارتجفت الركب وذابت القلوب، ووقفت الناس مشدوهين شاجبي الوجوه ومترجفين (١٠). إن هذا الوصف المفصل عزز قناعة مملكة يهوذا الجنوبيّة عن الطريقة التي سيجلب الله سلاماً وعزاءً إلى أرضهم، من خلال دمار عاصمة أعدائهم.

ناحوم يبرر خراب نينوى (الإصحاح الثالث)

لقد أدرج ناحوم عدداً من الأسباب لإنسكاب غضب الله على نينوى. إتهمهم بسفك الدماء، وباختلاق الأكاذيب، وبغزو المدن، وباقتراف البغاء. يُخبرنا علماء التاريخ القديم أن الأشوريين كانوا يقتلون الشعوب المهزومة إلى بلادٍ أخرى لكي يدمروا شعورهم القومي، وأنهم كانوا يقتربون الفظائع ضد أسراهم. كانوا يسلمون جلد أسراهم وهم أحياء، وعندما يحتلون مدينة، كانوا يقتلون نصف سُكّانها، ويضعون أكوام جماعهم على باب المدينة لكي يرعبوا الذين تركوهم أحياء من المدينة.

وبما أن كلّ أمة عانت على أيدي الأشوريين الفساة، أعلن ناحوم كلمات الربّ التالية كردّ على فظائع الأشوريين، "هأنذا عليك يقول ربّ الجنود، فأكشف أذالك إلى فوق وجهك، وأري الأمم عورتك والممالك خزيك." (٣: ٥). "ليس جبراً لإنكسارك. جرحك عديم الشفاء. كلّ الذين يسمعون خبرك يصفقون بأيديهم عليك." (٣: ١٩). لقد كان سقوط نينوى مصدر تعزية لكلّ الأمم الذين يعيشون في خوفٍ من مذابحها.

ناحوم يُدافع عن شخصيّة الله

تُعَلِّمُنَا نُبوَّةُ نَاحومِ القَاصرةِ عنِ مَحبَّةِ وِغَضَبِ اللّهِ. إنِ الكَلِمَةَ العِبريَّةَ المُستَخدَمةَ للتعبيرِ عنِ غضَبِ اللّهِ هي مَفهومُ العُبورِ. الفِكرَةُ هي أَنَّ جِوهرَ شَخصيَّةِ اللّهِ هو المَحبَّةُ، ولكنَّ شُرورَ وآثامِ النَّاسِ أحياناً تَجعَلُ اللّهُ يُظهِرُ الوِجَةَ الأَخرَ منِ شَخصيَّتهِ، الَّذي هُوَ القَداستةُ والعَدالَةُ. في هَذِهِ المَرحَلَةِ، "يَعبُرُ" اللّهُ إلى الغَضَبِ والديُّونَةُ، لأنَّهُ في النِّهايةِ، الشَّرُّ لا يُمكنُ أَنْ يَتَواجَدَ مَعَ قَداستةِ اللّهِ.

لقد رأيتُ مرَّةً أباً حنوناً لطيفاً، ولكن عندما رأى في مركزِ الشرطةِ المُجرِمَ الَّذي إغتصبَ وقتلَ ابنتَهُ التي كانت في الثامنة من عُمرها، تطلَّبَ الأمرُ تدخُّلَ كُلِّ أفرادِ الشرطةِ هُنَاكَ لكي يردَّعوا والدَ الفتاةِ عن هذا المُجرِمِ. فإن كانَ هذا الوالدُ لَدِيهِ شَخصيَّةٌ بإمكانِها أَنْ تَعبُرَ من المَحبَّةِ واللُّطفِ إلى الغَضَبِ، أليسَ اللّهُ قادِراً على هَكَذا عُبُورِ في شَخصيَّتهِ؟

بإمكانِنا أَنْ نَعرِّفَ غضَبَ اللّهِ كالتالي: "هو موقفُ القَداستةِ المُستَمَرِّ والدائمِ تجاهَ عدمِ القَداستة." وبإمكانِنا أيضاً أَنْ نَقُولَ أَنَّ غضَبَ اللّهِ هُوَ "رَدَّةُ فِعلِ الإِبادةِ من قِبَلِ مَحبَّةِ اللّهِ المُطلَقةِ تجاهَ مَنْ يُدَمِّرُ أحبَّاءَهُ." في هَذِهِ الحَالِ، إنِ أحبَّاءَ اللّهِ كانوا أولئكِ الَّذينَ كانَ الأَشوريُّونَ يذبحونَهُم وَيُقَطِّعونَ أوصالَهُم، كما فَعَلوا بالَّذي سبَّوهم من المَمْلَكَةِ الشَّماليَّةِ.

تماماً كما حَدَّثَ مَعَ شَعبِ اللّهِ في مَمْلَكَةِ يَهُوذَا الجَنُوبيَّةِ، بإمكانِنا أَنْ نَنالَ العِزاءَ بِمُجرَّدِ التَّأكيدِ أَنَّ إِلَهَنَا، الَّذي جِوهرُهُ المَحبَّةُ الكَامِلَةُ، سَيَعبُرُ في النِّهايةِ لِيُعبِّرَ عنِ غضَبِهِ بسببِ ظُلْمِ شَعبِهِ. وَسَيُبيدُ الشَّرَّيرِ منِ جِلالِ التَّعبيرِ المُطلَقِ والكَامِلِ عنِ قَداستِهِ وَعَدْلِهِ.

الفصل الثامن

نُبُوَّةُ حَبْقُوقُ

أولئك الذين إطلَعوا على سفر النبي حَبْقُوقُ، يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ أَجْوِبَةٌ، بَلْ مُجَرَّدُ أَسْئَلَةٍ كَثِيرَةٍ. يَبْدُو وَكَأَنَّهُ لَدَيْهِ عَقْلٌ رُبِطَتْ إِلَيْهِ عِلْمَةٌ اسْتِفْهَامٌ. فِي الْإِصْحَاحَاتِ الثَّلَاثَةِ الْقَصِيرَةِ فِي سَفَرِ النَّبِيِّ هَذَا، يَصْرُخُ حَبْقُوقُ إِلَى اللَّهِ عَلَى التَّوَالِي بِطَرَحِ السُّؤَالِ "لِمَاذَا؟" لِهَذَا السَّبَبِ، دَعَا الْبَعْضُ حَبْقُوقُ "بِالنَّبِيِّ اللَّادِرِيِّ".

الشخص اللاأدري هو الذي يُؤْمِنُ أَنَّنَا لَا نَعْرِفُ عَنِ اللَّهِ وَلَا عَنِ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي يَطْرَحُهَا اللَّاهُوتِيُّونَ وَالْفَلَسِيفَةُ مِنْذُ آلَافِ السِّنِينَ. وَصَفَ الْبَعْضُ الشَّخْصَ اللَّادِرِيِّ بِذَلِكَ الَّذِي يَقُولُ، "أَنَا لَا أَعْرِفُ، أَنْتَ لَا تَعْرِفُ، وَلَا أَحَدٌ آخَرَ يَعْرِفُ. وَلَكِنْ مِنَ الذِّكَاةِ وَالْفِطْنَةِ أَنْ نُفَكِّرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ." إِنَّ سُّؤَالِي لِلشَّخْصِ اللَّادِرِيِّ كَانَ دَائِمًا، "إِنْ كَانَ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ تَعْرِفَ، فَكَيْفَ تَعْرِفُ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْرِفَ؟" تَعَلَّمْنَا مِنَ الْأَسْفَارِ التَّارِيخِيَّةِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ أَنَّ دَاوُدَ أَقَامَ أَرْبَعَةَ آلَافِ كَاهِنٍ لِكِي لَا يَعْمَلُوا أَيَّ شَيْءٍ غَيْرِ تَسْبِيحِ الرَّبِّ عَلَى آلَاتِ مُوسِيقِيَّةٍ عَمَلُهَا هُوَ بِنَفْسِهِ لِهَذَا الْغَرَضِ (أَخْبَارُ الْأَيَّامِ ٢٣: ٥). هُوَ لَا يَخْدَمُ اللَّادِرِيِّينَ الْمُتَخَصِّصِينَ بِالْعِبَادَةِ وَالْمُوسِيقَى، كَتَبْنَا الْعَدِيدَ مِنَ الْمَزَامِيرِ. كَانَ حَبْقُوقُ وَاحِدًا مِنْ هُوَ لَا اللَّادِرِيِّينَ الْمُوسِيقِيِّينَ. لَقَدْ كَانَ كَمَا نُسَمِّيهِ الْيَوْمَ قَائِدَ جَوْقَةِ تَرْنِيمِ.

مَرِصِدُ الْمُرَاقِبَةِ عِنْدَ حَبْقُوقُ

"يُجِيبُ الْوَعَاظُ دَائِمًا عَلَى أَسْئَلَةٍ لَا يَسْأَلُهَا أَحَدٌ، وَيُحْكُونَ النَّاسَ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ بِالْحِكَاكِ." يَنْبَغِي عَلَى الْوَعَاظِ أَنْ يَشْعُرُوا بِالذَّنْبِ حَيْثُ هَذَا الْإِتِّهَامِ الَّذِي يَصْحُ عَلَى الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ. إِنَّمَا لَمْ تَكُنْ هَذِهِ حَالَةُ حَبْقُوقُ.

كَانَ حَبْقُوقُ مُعَاصِرًا لِأَرْمِيَا. وَلَقَدْ لَاحَظَ الْمُعَامَلَةَ السَّيِّئَةَ الَّتِي عَانَاهَا هَذَا النَّبِيُّ الْعَظِيمُ. أَعْتَقَدُ أَنَّ حَبْقُوقُ فَكَّرَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ شَعْبُ يَهُوذَا قَدْ عَامَلَ نَبِيًّا عَظِيمًا كَأَرْمِيَا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، فَكَيْفَ سَيُعَامَلُونَهُ هُوَ كَقَائِدِ تَرْنِيمِ يَدَّعِي أَنَّهُ يَحْمِلُ لَهُمْ رِسَالَةَ مِنَ اللَّهِ؟

أَنَا مُقْتَنِعٌ أَنَّ حَبْقُوقُ ابْتَكَّرَ أَسْلُوبًا أَدْبِيًّا بَارِعًا، يَسْتَطِيعُ مِنْ خِلَالِهِ أَنْ يُعْلِنَ نُبُوَّتَهُ وَيَكْسِبَ إِصْغَاءَ الشَّعْبِ، وَيُحْضِرُ شَعْبَ يَهُوذَا لِقَبُولِ الرِّسَالَةِ الَّتِي أُعْطَاهُ إِيَّاهَا اللَّهُ لِيُسَلِّمَهَا إِلَيْهِمْ. وَأَنَا مُقْتَنِعٌ أَيْضًا أَنَّهُ عِنْدَمَا طَرَحَ حَبْقُوقُ أَسْئَلَتَهُ، كَانَ يَطْرَحُ الْأَسْئَلَةَ الَّتِي طَرَحَهَا شَعْبُ يَهُوذَا عَلَى اللَّهِ وَعَلَى بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ يَوْمِيًّا.

إِنَّ شَعْبَ يَهُوذَا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ كَانَ يَتَوَقَّعُ أَنْ تَظْهَرَ الْجُيُوشُ الْبَابِلِيَّةُ قَرِيبًا. وَكَانَتْ أَبْرَاجُ وَأَرْصِدَةٌ مُرَاقِبَتِهِمْ مَمْلُوءَةٌ بِالْحُرَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا يُرَاقِبُونَ وَيَتَنصَّتُونَ إِلَى أَوْلَى عِلْمَاتِ

وضجة البابليين. أعلن حبقوق أنه كان سبيني "مرصداً" روحياً. وكان سيذهب ويقف في هذا المرصد ليترخ على الله أسئلته (وأسئلة الشعب)، وكان سيراقب ويتصت ويتنظر جواب الله على أسئلته (وأسئلة الشعب).

أنصوّر أنّ الشعب شجعوا حبقوق على الذهاب إلى مرصده، لكي يطرح على الله الأسئلة التي كانت تُثقل قلوبهم. عندما كان حبقوق في مرصده، تساءل عن استخدام الله لأمة شريرة – بابل – لكي يُدمّر شعبه المختار. سأل قائلاً، "أيها الربّ إلهي فدوسي، أنت منذ الأزل. هل خطتاك من كلّ هذا أن تُبيدنا؟ بالطبع لا. يا الله صخرتنا، أنت قررت أن تُقيم هؤلاء البابليين لكي تُؤدبنا على خطايانا الشنيعة. فنحن أشرار، ولكنهم أشر منّا بكثير. فهل ستسمح، أنت الذي لا تُطبق الخطية بتاتا، أن تقف مكتوف الأيدي بينما يبتلعوننا؟ هل عليك أن تكون صامتا بينما يبلغ الشرير من هو أبر منه؟" (١: ١٢، ١٣).

لقد كان حبقوق (وشعب يهوذا) واعين الحقيقة القاسية أن الله كان يستخدم البابليين لكي يعاقب يهوذا على خطاياهم، ولكن كان لا يزال من الصعب عليه وعليهم أن يفهموا لماذا يستخدم الله أمة شريرة لكي يُؤدب شعبه. وفوق كلّ هذا، لقد كانت شرور البابليين تفوق كثيراً شرور شعب يهوذا. فلماذا استخدمهم الله لتأديب شعبه؟

كانت هذه هي الأسئلة وكان هذا هو الإطار الذي فيه طرح حبقوق الأسئلة التي لم تكن فقط على قلبه، بل وكانت على قلوب شعب يهوذا المشووم الذي كان يقف على عتبة السبي البابلي. كان حبقوق يراقب، يتصت، ويتنظر أجوبة من الله على أسئلته وأسئلة الشعب. فأعلن قائلاً: "على مرصدي أقف وعلى الحصن أنصب وأراقب لأرى ماذا يقول لي وماذا أُجيب عن شكواي." (٢: ١).

رسالة حبقوق

تصوّروا دهشة الشعب عندما أعلن لهم حبقوق أنه سمع شيئاً من الله وهو في مرصده. يا لهذا الأسلوب الذكي والمحيّر الذي اختاره هذا النبي لرسالته في الوقت المناسب. لقد وعظ حبقوق أن الله أجابه على أسئلته (وأسئلتهم). فعلى الرغم من أن الله كان يستخدم أمة شريرة لكي يُؤدب خطايا شعب يهوذا، أجاب الله حبقوق أن البابليين لن يستمروا بالبقاء طويلاً كأباطوريين عالمية. فلقد بقي البابليون سبعين سنة فقط.

أخبر الله حبقوق أن بُدور دمار البابليين تكمن في قلوبهم. فكتب يقول أن الله أخبره أن البابليين كانوا معوجي القلوب. كان جوهر ما قاله الله لحبقوق هو ما نجده في قول يسوع "الذي يأخذ بالسيف، فبالسيف يُؤخذ." (متى ٢٦: ٥٢). لهذا سوف يدمرون بشرورهم القاسية والفظّة: "هوذا مُنتفخة غير مُستقيمة نفسه فيه. والبار بإيمانه يحيا. وحقاً

إِنَّ الْخَمَرَ غَادِرَةٌ. الرَّجُلَ مُتَكَبِّرٌ وَلَا يَهْدَأُ. الَّذِي قَدْ وَسَّعَ نَفْسَهُ كَالهَآوِيَةِ وَهُوَ كَالْمَوْتِ فَلَا يَشْبَعُ بَلْ يَجْمَعُ إِلَى نَفْسِهِ كُلَّ الْأُمَّمِ وَيَضُمُّ إِلَى نَفْسِهِ جَمِيعَ الشُّعُوبِ." (٢: ٤-٥).

كانت بابل بالطبع هي "الْمُتَكَبِّر" الذي تكلم الله عنه هنا، لأن قلوبهم كانت شريرة غير مستقيمة أمام الله. ولكن وحده البار سوف يحيا بالإيمان. أولئك الذين يعرفون الله ويعيشون مواعيده بالإيمان سوف يحيون. (٤)

"البار بالإيمان يحيا". هذه الجملة لها تفسير واحد وتطبيقات متعددة. حرفياً، من خلال هذا الجواب على إستفهام حبقوق، كان الله يعد بمستقبل رجاء ليهوذا. فإذا كان لديهم الإيمان الكافي ليصدقوا الأنبياء، أمثال إشعياء، وخاصة إرميا، فسوف يحيون كشعب وسوف يرجعون إلى أرضهم. كان هذا هو الرجاء المقصود بكون أمة بابل الشريرة لن تكون منتصرة في النهاية. ولكن الأبرار سيحيون، إن كان لهم إيمان ليتقوا بمواعيد الله التي سمعوها من خلال أنبيائهم الأمانة.

هناك تطبيق ديناميكي ثانوي، نجد في العهد الجديد، حيث يُفتبس هذا العدد من حبقوق ثلاث مرات. فالإصلاح الإنجيلي ولد عندما اكتشف كاهن كاثوليكي هذا العدد في الإصحاح الأول من رسالة بولس إلى أهل رومية، بينما كان يقوم بتأملاته الصباحية (رومية ١: ١٧). إن لاهوت الإصلاح قد غير عنه في تفسير لوتر حول رسائل بولس إلى أهل رومية، وكذلك إلى أهل غلاطية حيث نجد هذا العدد مرة أخرى (غلاطية ٣: ١١). المكان الثالث الذي يُفتبس فيه هذا العدد في العهد الجديد (عبرانيين ١٠: ٣٨)، يُوقر إطاراً للإصحاح العظيم عن الإيمان في الكتاب المقدس، أي عبرانيين ١١.

نشيد حبقوق

لا نعرف ماذا حصل لقائد الترنيم الشجاع حبقوق، عندما سقطت أورشليم. فعندما كانت تسقط مدن مثل أورشليم، غالباً كان يُذبح نصف السكّان، والناجون كانوا يُقتادون إلى السبي مُقيدّين بالأصفاد. رغم أن حبقوق عرف أن الإجتياح والسبي البابلي كانا وشيكي الخدوث، وسوف يستمران لسبعين عاماً، ختم رسالته بنشيد تسبيح. لم تكن لديه طريقة ليعرف ماذا يُخبئ له المستقبل، ولكنه عرف أن مستقبل أمته كان واعد بالرجاء. فبعد سبعين عاماً، ستسقط بابل، وسيرجع يهوذا ليكون شعب الله المُختار.

بدأ حبقوق نُبوته بما يبدو أنه تنهد اليأس. ولكنه ختم نُبوته بنشيد عبادة وتسبيح. فبطريقة ختامه لنُبوته، أظهر حبقوق لشعب الله في كل جيل وحضارة كيف يُمكن تحويل تنهديات اليأس إلى نشيد التسبيح.

يظهر نموذج كتابة حبقوق لنشيدِهِ، عكس ما نراه في المؤمن النفعي. فالمؤمن النفعي هو المؤمن الذي يُريد أن يستخدم الله ساعة يُريد، كما يستخدم تسهيلاتِهِ الأخرى كالكهرباء والماء ووسائل النقل. يُظهر نشيد حبقوق الختامي هذا صفات رجل الإيمان الذي عرف الله، وعرف أن الله لن يتخلى عن خطته بالدلالة إلى المسيا من خلال شعبه المختار. فإن كانت كلمات الله صحيحةً، كما آمن حبقوق، عندها لن يكون من الممكن أن ينسى شعب الله نهائياً. قد يذهبون إلى السبي، وقد يُؤدّبون على خطاياهم، ولكنهم لن يبادوا نهائياً، طالما أن النبوات المسياوية لا تزال تنتظر تحققها.

عندما أعطى الله إعلاناً رائعاً لأيوب في وسط ألمه المبرح، وإرميا عندما كان يكتب مرثيه، أعطى الله هذا النشيد الرائع لحبقوق، في أحلك ساعة في حياته:

"يا رب قد سمعتُ خبرك فجزعتُ. يا رب عملك في وسط السنين أحيه. في وسط السنين عرفتُ. في الغضب اذكر الرحمة. ... فمعه أنه لا يزهر التين ولا يكون حمل في الكروم. يكذب عمل الزيتون والحقول لا تصنع طعاماً ينقطع الغنم من الحظيرة ولا بقر في المزاود. فإني أبتهج بالرب وأفرح بالله خلاصي. الرب السيد قوتي ويجعل قدمي كالأيائل ويمشي بي على مرتفعاتي." (حبقوق ٣: ٢؛ ١٧-١٩). (ملاحظة لقائد الترنيم: عندما يُرثم هذا العدد، ينبغي أن تُرافق الجوقة بالآت وترية.)

التطبيق الشخصي

على الرغم من أن القليلين منا يواجهون ذلك النوع من المشاكل التي واجهها حبقوق، عندما تكون لدينا مشاكل تغلبنا، بإمكاننا أن نركز على الطاقات الجسدية، العاطفية، والروحية لمشاكلنا، أو بإمكاننا أن نبني مرصداً أو عززلاً، نقف فيه للمراقبة إلى أن نرى الله يعمل في حياتنا. بإمكاننا أن نتنصت إلى الله إلى أن نسمع منه أنه يعمل في حياتنا. وعندها، كما فعل حبقوق، بإمكاننا أن نعبد الله العامل في حياتنا.

أتساءل ما إذا كنت قد بنيت هكذا مرصدٍ روحي- أي ذلك المكان الذي منه تستطيع أن تُراقب، تنتظر، وتُصغي إلى أن تسمع شيئاً من الله؟ يُعلمنا سفر حبقوق أنه بإمكاننا لا بل يتوجب علينا أن نبني مرصداً روحياً، وأن نقرب من الله مع أسئلتنا. وهو سيجيبنا في صمت أوقات مراقبتنا، إصغائنا، وانتظارنا له. قال راعي كنيسة تقي من جيل قديم: "قيل لي أن الله لا يتكلم لشعبه اليوم كما تكلم مع حبقوق. ولكن من الأصح أن نقول أن شعب الله لا يستمعون إلى الله اليوم كما كانوا يستمعون إليه أيام النبي حبقوق."

الفصل التاسع

نُبُوَّةُ صَفْنِيَا

لقد كَانَ صَفْنِيَا مِثْلَ النَّبِيِّ يُؤَنَّبِلُ، نَبِيَّ "يَوْمِ الرَّبِّ". وَبَيْنَمَا شَدَّدَ يُؤَنَّبِلُ عَلَيَّوْمِ الرَّبِّ فِي الْمَاضِي، الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ، رَكَّزَ صَفْنِيَا نُبُوَّتَهُ فَقَطْ عَلَى يَوْمِ الرَّبِّ الْأَخِيرِ الَّذِي سَيَكُونُ وَاحِدًا مِنْ الْأُمُورِ الْأَخِيرَةِ الَّتِي أَخْبَرْنَا عَنْهَا يَسُوعُ، الْأَنْبِيَاءُ، وَالرُّسُلُ.

مُحْتَوَى يَوْمِ الرَّبِّ (الإصحاح الأول)

عِنْدَمَا كَرَّرَ صَفْنِيَا بِيَوْمِ الرَّبِّ، وَصَفَ حَدَثًا كَارِثِيًّا سَيَجِلُّ عَلَى كُلِّ مُسْتَوِيَاتِ الْخَلِيقَةِ. وَلَقَدْ أَعْلَنَ اللَّهُ مِنْ خِلَالِ صَفْنِيَا قَائِلًا، "نَزَعًا أَنْزَعُ الْكُلَّ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ يَقُولُ الرَّبُّ. أَنْزَعُ الْإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ. أَنْزَعُ طُيُورَ السَّمَاءِ وَسَمَكِ الْبَحْرِ... وَأَقْطَعُ الْإِنْسَانَ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ يَقُولُ الرَّبُّ." (١: ٢-٣)

بِالنِّسْبَةِ لِصَفْنِيَا، يَوْمُ الرَّبِّ سَيَكُونُ نِهَائِيًّا وَكَارِثِيًّا. وَلَنْ يُخَصَّ فَقَطْ شَعْبَ يَهُوذاَ وَمُعَذِّبِيهِمُ الْبَابِلِيِّينَ، بَلْ سَيُخَصُّ كُلُّ إِنْسَانٍ وَحَيَوَانٍ، وَكُلُّ طُيُورِ السَّمَاءِ وَسَمَكِ الْبَحْرِ.

وَكَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، مَزَجَ صَفْنِيَا نُبُوَّتَهُ عَنْ يَوْمِ الرَّبِّ الْأَخِيرِ مَعَ نُبُوَّتِهِ عَنِ السَّبْيِ الْبَابِلِيِّ، عِنْدَمَا نَطَقَ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ فِي الْأَعْدَادِ التَّالِيَةِ: "وَأَمْدُ يَدِي عَلَى يَهُوذاَ وَعَلَى كُلِّ سَكَّانِ أُورُشَلِيمَ... وَيَكُونُ فِي يَوْمِ ذَبِيحَةِ الرَّبِّ أَنِّي أُعَاقِبُ الرُّؤَسَاءَ وَبَنِي الْمَلِكِ وَجَمِيعَ اللَّائِسِينَ لِبَاسًا غَرِيبًا. وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أُعَاقِبُ كُلَّ الَّذِينَ يَقْفُرُونَ مِنْ فَوْقِ الْعَتَبَةِ الَّذِينَ يَمْلَأُونَ بَيْتَ سَيِّدِهِمْ ظُلْمًا وَغَشًّا." (١: ٤، ٨-٩).

يَتَّفَقُ صَفْنِيَا مَعَ النَّبِيِّ مِيخَا وَيُرَكِّزُ لَوْمَةً وَدَيْئُونَتَهُ عَلَى الْقَادَةِ الرُّوحِيِّينَ وَالسِّيَاسِيِّينَ فِي يَهُوذاَ، مُلْقِيًا عَلَيْهِمْ لَائِمَةً الْإِرْتِدَادِ الرُّوحِيِّ وَالْفَسَادِ الْأَخْلَاقِيِّ فِي الشَّعْبِ. وَنَتِيجَةً لَخَطَايَا هَؤُلَاءِ الْقَادَةِ الرُّوحِيِّينَ وَالسِّيَاسِيِّينَ، جَلَبَ اللَّهُ الدَيْئُونَةَ عَلَى شَعْبِهِ بِكَامِلِهِ، بِحَسَبِ هَذِينَ النَّبِيِّينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الصِّغَارِ. إِنَّ دَيْئُونَةَ اللَّهِ الَّتِي سَتَنْزِلُ عَلَى الْقَادَةِ وَعَامَّةِ الشَّعْبِ، تُظْهِرُ تَشْدِيدَ اللَّهِ عَلَى مَسْئُولِيَّاتِ الْقَادَةِ أَمَامَ اللَّهِ عَنْ حَالَةِ شَعْبِهِمْ.

مِيزَاتُ يَوْمِ الرَّبِّ (الإصحاح الثاني)

رُغْمَ أَنَّ صَفْنِيَا أَعْلَنَ بِالدرجَةِ الْأُولَى دَيْئُونَةَ اللَّهِ عَلَى يَهُوذاَ بِسَبَبِ خَطَايَاهَا، تَدْبَأُ أَيْضًا عَنْ يَوْمِ الرَّبِّ الَّذِي سَيَأْتِي عَلَى كُلِّ الْأُمَمِ، خَاصَّةً تِلْكَ الَّتِي إِضْطَهَدَتْ شَعْبَ يَهُوذاَ: "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالنِّهَائِيِّ، كُلُّ الْبَشَرِ الَّذِينَ عَلَى الْأَرْضِ سَيُعْتَبَرُونَ مَسْئُولِينَ عَنْ

أعمالهم على الأرض، والله سوف يتخذ القرار النهائي. لقد أعلن صنفيا أن فقط أولئك الذين عبدوا الله الواحد في حياتهم سوف يهربون من غضب الله في اليوم الأخير."

في هذا الإطار، يحض صنفيا الأمم على التوبة: "تجمعي واجتمعي يا أيتها الأمة غير المستحبة. قبل ولادة القضاء. كالعصافاة عبر اليوم. قبل أن يأتي عليكم حُمُ غضب الرب قبل أن يأتي عليكم يوم سخط الرب. أطلبوا الرب يا جميع بانسي الأرض الذين فعلوا حُكمه. أطلبوا البر. أطلبوا التواضع. لعلمكم تسترون في يوم سخط الرب." (٢: ١-٢)

رغم أن هذه الأمم التي لا تؤمن بالله استخدمت من قبل الله ليجلب دينونته على شعب يهوذا، ولكن شعوب هذه الأمم لم يكونوا أولاد الله الواحد الحي والحقيقي. لقد دعاهم صنفيا إلى التوبة ليخلصهم من النار التي سيجلبها الله في يوم الرب النهائي.

إن المحرك الذي سيحدث يوم الرب سيكون خطية وعدم تقوى الأمم. في وصفه لشعب يهوذا والأمم الوثنية، أشار صنفيا إلى خطايا البطر، اللامبالاة، عدم الإيمان، العصيان، التمرد، والبعد عن الله. هذه الخطايا التي إقترفها كل من شعب الله والأمم الوثنية، سوف تُثير غضب الله وستكون المحرك الذي سيحدث يوم الرب، بحسب صنفيا.

ولقد تنبأ صنفيا أيضاً أن دينونة الله ستنزل على أمم ساحل البحر، ووصل إلى القول، "يكون الساحل لبقية بيت يهوذا عليه يرعون. في بيوت أشقلون عند المساء يربضون لأن الرب إلههم يتعهدهم ويرد سبيهم." (٧) وكرز صنفيا ضد مؤاب وعمون، وضد الأثيوبيين والأشوريين، وكل هذا لكي يظهر أن الأمم لن تنجو من دينونة الله.

الخليقة الجديدة في يوم الرب (الإصحاح الثالث)

رغم أن صنفيا وبخ يهوذا بسبب فساد قادتها ومقاومة الله (٣: ١-٤)، مُعلنًا أن السبي البابلي سيكون النتيجة المباشرة لسوء تصرفات مملكة يهوذا، ولكنه تكلم أيضاً عن الرجاء الذي تستطيع يهوذا أن تجلبه في يوم الرب النهائي. في ذلك اليوم، ستعترف كل أمم الأرض بأن الرب هو الله (٨-١١)، وبقية إسرائيل ستوجد أمانة "بقية إسرائيل لا يفعلون إثماً ولا يتكلمون بالكذب ولا يوجد في أفواههم لسان غش لأنهم يرعون ويربضون ولا مخيف." (١٣)

رغم فشل شعب يهوذا في البقاء أمناً لله، تنبأ صنفيا أن الله سيحفظ وسيدعو من السبي في آخر الأيام بقية أمانة، التي ستبقى أمانة للرب إلى الأبد، كخليقة جديدة جميلة. نرى هذه النبوة قد تحققت جزئياً في السفرين التاريخيين لعزرا ونحميا، وكذلك في آخر ثلاثة بين الأنبياء الصغار، الذي سندرسهم الآن. هؤلاء هم أنبياء ما بعد السبي، الذي خدموا البقية من الذين عاشوا إلى ما بعد السبي البابلي.

بما أنّ نُبوّة صنفيا تُركّزُ بشكلٍ أساسيٍّ عليومِ الرَّبِّ الأخير، يعتقّد الكثيرون أنّ نُبوّته عن البقيّة الوديعّة المتواضعة والبارّة قد تحقّقت في كنيسة المسيح الحي القائم من الأموات. فكلُّ الرُّسل كانوا يهوداً، وبولس كتب أنّ كلّ الأمم الذي تجدّدوا أصبحوا أبناء إبراهيم (غلاطية ٣: ٧). وهكذا أصبح بولس نبياً عندما تنبأ أنّ الله سيجعل الأمة اليهوديّة تتوب وترجّع إليه في النهاية إذ يقول، "وهكذا سيخلص جميع إسرائيل." (رومية ٩-١١).

الفصل العاشر

نُبُوَّةُ حَجِّي

جميعُ الأنبياء الذين درسناهم حتَّى الآن عاشوا وكرزوا قبلَ أو إبانَ السبيِ البابليِّ. أمَّا حَجِّي، زكريَّا، وملاخي، فيُشارُ إليهم بأنبياء ما بعد السبي، لأنَّهم كرزوا لليهود الذين رجَعوا من السبيِ البابليِّ. إن أسفار العهد القديم التاريخيَّة الإثني عشر تُوفِّرُ الإطارَ التاريخيَّ الذي فيه عاشَ وخدمَ فيه كلُّ الأنبياء الذين كتبوا أسفاراً. ولكي تقدَّرَ الخلفيَّةَ التاريخيَّةَ للأنبياء الثلاثة الأخيرين، اقرأ سفر عزرا، أو ما كتبتُه عن هذا السفر التاريخي (أي الكتبيين رقم ٣ و ٤)، ممَّا سيذكركَ بما تعلمناه عن الحملات الثلاث للعودة من السبي البابليِّ.

لقد كرزَ حَجِّي وزكريَّا إلى أولئك الذين كانوا من بين المجموعَةِ التي رجعت في حملة الرجوع الأولى من السبي البابلي. فلقد حدثت حملة الرجوع الأولى من السبي، بعد وقت قصير من سقوطِ الإمبراطوريَّةِ البابليَّةِ بيدِ الميديين والفُرس. لقد كان لحملة الرجوع الأولى من السبي مهمَّةً واضحةً المعالم. لقد كان حُطَّةُ حملة الرجوع الأولى هي إعادة بناء هيكل سليمان. إن هدف هذه المهمَّة سيكوُنُ في صلبِ رسالة النبيين حَجِّي وزكريَّا.

تحقيقاً للنُّبوَّةِ المُعجزِيَّةِ للنبي إشعياء، قامَ كوروش العظيم، إمبراطور مادي وفارس، بإصدار قرارٍ يُشجِّعُ ويدعّمُ المسيبيين من شعب يهوذا، ليرجعوا ويُعيدوا بناءَ الهيكل. رُغمَ أن الرجوع لبناء الهيكل كان مُعجزَةً مجيدة، إلا أن عودتَهُم لم تكن مجيدةً أبداً. فلقد رجعَ خمسون ألفاً من المسيبين اللاجئين بِنيايهم الرثَّة لكي يبْنُوا الهيكل. لربَّما كان منظرُهم يُشبهُ إلى حدِّ بعيد منظرَ اللاجئين الذين نسمعُ عنهم في أيَّامنا.

في الماضي كان لديهم جيشٌ مؤلَّفٌ من ستمائة ألفٍ مُحارب، وكان الجميعُ يخشاهم، كأولئك الذين عاشوا في مُدنِ كنعان المُحصَّنة (يشوع ٢: ٩ - ١٤). أمَّا الآن، فلم يعدْ لديهم أيُّ جيش، ولم يعودوا حتى أمة. إضافةً إلى ذلك، الصدمة وخيبة الأمل عندما اكتشفوا أنَّ أرضَهُم كانت مسكوَّنةً من قِبَلِ أشخاصٍ وثنيين أضمرُوا لهم الشرَّ. بهذا نكونُ قد قدَّمتنا إطاراً للخلفيَّةِ التاريخيَّةِ للتَّحدِّي الذي واجهَهُ النبيين حَجِّي وزكريَّا.

رسالة حَجِّي

وجدَ العائدون من السبي من شعبِ الله شعوباً كانَ البابليُّون قد هزموهُم ونقلوهُم من بلادهم ليستوطنوا في أرضِ يهوذا. ولقد قاومَ هؤلاء المُستوطنون بعنفٍ محاولة اليهود لإعادة بناء الهيكل. وبسبب إقتناعهم أنَّ القوَّة التي جعلت من اليهود مرَّةً أمةً قويَّة كانت

تَكْمُنُ فِي هَذَا الْهَيْكَلِ، إِضْطَهَدُوا وَضَاقُوا شَعْبَ يَهُوذَا عِنْدَمَا شَرَعَ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ الْهَيْكَلِ. وَلَقَدْ شَعَرَ شَعْبُ يَهُوذَا بِالْتَهْدِيدِ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْمُقَاوِمَةِ الْمُعَادِيَّةِ، فَتَوَقَّفُوا عَنِ إِعَادَةِ بِنَاءِ الْهَيْكَلِ لِمُدَّةِ خَمْسَةِ عَشَرَ عَامًا. وَإِذْ تَشَنَّتْ إِنْتِبَاهُهُمْ عَنِ هَدَفِ مُهْمَتِهِمْ، أَنْصَرَفُوا إِلَى بِنَاءِ مَنَازِلِهِمْ. وَهُنَا ظَهَرَ النَّبِيُّ حَجِّي عَلَى السَّاحَةِ.

تَذَكَّرُوا أَنَّ مُهْمَةَ النَّبِيِّ كَانَتْ أَنْ يَصْرُخَ ضِدَّ أَيِّ عَائِقٍ يُعَيْقُ عَمَلَ اللَّهِ، إِلَى أَنْ يَزُولَ هَذَا الْعَائِقُ، وَيُسْتَكْمَلَ عَمَلُ اللَّهِ. عِنْدَمَا عَاشَ حَجِّي وَتَنَبَّأَ، كَانَ عَمَلُ اللَّهِ هُوَ إِعَادَةُ بِنَاءِ الْهَيْكَلِ. وَتَشَنَّتْ شَعْبَ يَهُوذَا عَنِ التَّرْكِيزِ عَلَى الْأَوْلَوِيَّةِ كَانَتْ الْعَائِقُ الَّذِي يُعَيْقُ عَمَلَ اللَّهِ. فَالْقَى حَجِّي أَرْبَعَ عِظَاتٍ عَظِيمَةً، أَدَّتْ بِشَكْلِ مُبَاشَرٍ إِلَى تَشْيِيدِ الْهَيْكَلِ.

عِظَةُ حَجِّي الْأُولَى: "رَكِّزُوا عَلَى أَوْلَوِيَّاتِكُمْ!" (الإصحاح الأول)

يُسَجِّلُ نِصْفُ سَفَرِ حَجِّي وَيَصِفُ نَتَائِجَ عِظَةِ حَجِّي الْأُولَى، حَيْثُ تَحَدَّى حَجِّي شَعْبَ يَهُوذَا بِقَوْلِهِ: "إِجْعَلُوا قَلْبَكُمْ عَلَى طُرُقِكُمْ." يُمَكِّنُ تَلْخِيصَ رِسَالَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِكَامِلِهَا فِي هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ: "اللَّهُ أَوْلَا!" إِنَّ تَحَدِّي حَجِّي لِهَوَلَاءِ الْمَسِيحِيِّينَ كَانَ: "تَأْمَلُوا فِي وَقْتِكُمْ وَفِي وَقْتِ اللَّهِ. لَدَيْكُمْ وَقْتُ لِبِنَاءِ بُيُوتِكُمْ، وَلَيْسَ لَدَيْكُمْ وَقْتُ لِبِنَاءِ بَيْتِ اللَّهِ."

وَ عِظَ حَجِّي نَاطِقًا بِاسْمِ الرَّبِّ وَقَائِلًا: "إِجْعَلُوا قَلْبَكُمْ عَلَى طُرُقِكُمْ! إِنْتَظَرْتُمْ كَثِيرًا وَإِذَا هُوَ قَلِيلٌ وَلَمَّا أَدْخَلْتُمُوهُ الْبَيْتَ نَفَخْتُ عَلَيْهِ. لِمَاذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. لِأَجْلِ بَيْتِي الَّذِي هُوَ خِرَابٌ وَأَنْتُمْ رَاكِضُونَ كُلُّ إِنْسَانٍ إِلَى بَيْتِهِ!" (١ : ٩) تُعَبِّرُ إِحْدَى التَّرْجُمَاتِ عَنِ حَجِّي بِأَنَّهُ يَقُولُ أَنَّ الشَّعْبَ كَانَ يَجْمَعُ الْمَالَ فِي جِرَابٍ مَثْقُوبٍ مِنَ الْأَسْفَلِ. عِنْدَمَا تَحَدَّاهُمْ حَجِّي بِأَنْ يَجْعَلُوا قَلْبَهُمْ عَلَى طُرُقِهِمْ، كَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الَّذِي ثَقَبَ جِرَابَهُمْ.

يَتَحَدَّى حَجِّي هَوَلَاءِ الْمَسِيحِيِّينَ لِتِنَائُلِهِمْ بِمَا يَفْعَلُوهُ، وَبِمَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ. نَتِيجَةُ لِأَوْلَوِيَّاتِهِمُ الْمُخْتَلَّةِ التَّوَارُنِ، دَعَا اللَّهُ بِجَفَافٍ عَلَى عَمَلِهِمْ وَعَلَى شَعْبِ يَهُوذَا نَفْسَهُ (١٠ ، ١١). فَارْسَلْ لَهُمُ الْجُوعَ بَدَلَ الْمَطَرِ. فَكُلُّ جِدِّهِمْ بِالْعَمَلِ لَمْ يُنْتِجْ شَيْئًا، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَضَعُوا اللَّهَ أَوْلَاً.

لَا بُدَّ أَنْ حَجِّي كَانَ وَاعِظًا قَدِيرًا لِأَنَّ الشَّعْبَ تَحَرَّضَ عَلَى الطَّاعَةِ. فَرَكِّزُوا عَلَى أَوْلَوِيَّاتِهِمْ، وَشَرَعُوا بِبِنَاءِ الْهَيْكَلِ. جَاءَتْ عِظَةُ حَجِّي الْأُولَى فِي جَزَائِنِ. الْجِزْءُ الثَّانِي كَانَ نَتِيجَةَ لِتَجَاوِبِهِمْ بِالطَّاعَةِ. وَجَوْهَرُ هَذَا الْجِزْءِ هُوَ "أَنَا مَعَكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ" (١٣). فَسُرْعَانَ مَا صَحَّحُوا أَوْلَوِيَّاتِهِمْ، صَارَ اللَّهُ مَعَهُمْ، وَبَارَكُهُمْ وَبَارَكَ عَمَلَهُمْ، عِنْدَمَا وَضَعُوهُ أَوْلَاً.

عِظَةُ حَجِّي الثَّانِيَّةُ: (رَكِّزُوا وَجْهَةً نَظَرِكُمْ" (٢ : ١-٩)

كَانَ هَيْكَلُ سُلَيْمَانَ الْأَسَاسِي قَدْ بُنِيَ بِمَوَادِّ بَاهِظَةٍ الثَّمَنِ، مِثْلَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ. فَكُلُّ الْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِسُلَيْمَانَ وَكُلُّ ثَرَوَتِهِ وَقُرَّتِ الْمَوَادِّ الَّتِي مِنْهَا بُنِيَ

الهيكلُ الأوَّل. وعندما قامت البقيَّة من شعب يَهُودًا بإعادةِ بناءِ الهيكل، كانوا لاجئينَ فقراء. والمصادرُ الوحيدةُ للمواد التي توفَّرت في أيدي العائدين من السبي كانت ما تمَّ إسترجاعُهُ من حطامِ ورُكامِ الهيكلِ الأوَّل، أو ما زوَّدَهُم به الأمبراطورُ الفارسي قُورُش.

كثيرون من الذين شاركوا ببناءِ الهيكلِ الثاني، لم يسبقَ لَهُم أن رأوا الهيكلَ الأوَّل، كونهم وُلِدُوا خلالَ السبي في بابل. الشُّيوخ الذين رأوا الهيكلَ الأوَّل لم يَكُنْ يُوسِعُهُم إلا أن يبكوا على هيكلٍ لن يكونَ أبداً بمجدِ الهيكلِ الأوَّل (عزرا ٣: ١٢، ١٣).

في عظةِ حجِّي الثانية، تعاملتُ هذا النبيُّ مع الحُزن والفشل اللذين شعرَ بهما العائدون من السبي. فذكرَهُم حجِّي أن معنى الهيكل كانَ رُوحياً أكثرَ منه مادياً. (فخيمةُ الإجماع في البريَّة كانت مُجرَّدَ خيمة!) وذكرَهُم حجِّي أيضاً أن روحَ الله كانَ معهم.

إنَّ عظةَ حجِّي الثانية ركَّزت على حاجةِ الشعب إلى تركيزِ وجهتهِ نظرهم. إن كلمة "وجهة نظر" تعني، "النظر من خلال". هناك أوقاتٌ يحضُّنا فيها الكتابُ المقدس على أن نتذكَّر، وهناك أوقاتٌ يُعلِّمنا فيها الكتابُ المقدس على أن ننسى ما هو وراء.

أحياناً يكونُ النَّظَرُ إلى الوراثة مؤذياً لنا لدرجة أن الله يستخدمُ أنبياءَ مثل حجِّي لكي يتحدَّنا أن نتحلَّى بنوع من "الرؤيا من خلالِ نفق"، أي أن ننسى كُلَّ العوائق والمشوشات، وأن ننظرَ ببساطةٍ من خلالِ نفق إلى الحاضر والمستقبل، وإلى ما يُريدنا الله أن نعملَ من أجله. هذا هو جوهرُ رسالةِ حجِّي في عظتهِ الثانية.

عظةُ حجِّي الثالثة: "رَكِّزُوا دوافِعَكُمْ" (٢: ١٠ - ١٩)

بعد أن بدأ الشعبُ العبرانيُّ بالعملِ على بناءِ الهيكل، أرادوا أن يروا مباشرةً البركة التي وعدَ بها الله من خلالِ الجزء الثاني من عظةِ حجِّي الأولى. لقد عملوا لأشهر، عبر الخريف والشتاء، ولم يحصلوا بعد على البركة التي توقَّعواها.

لقد طرحَ حجِّي سُؤالين على الشعب في فشلهم. وبما أن الكهنة أجابوا على أسئلةِ الشعب حولَ كلمةِ الله، وجَّهَ حجِّي سُؤاليه إلى الكهنة. سألَ أولاً، "إن حَمَلَ إنسانٌ لحمًا مُقدَّساً في طَرَفِ ثوبه ومَسَّ بِطَرَفِهِ خُبْزاً أو طَبِيخاً أو خَمِراً أو زَيْتاً أو طَعاماً ما فهل يتقدَّس. فأجابَ الكهنة وقالوا لا. فقال حجِّي إن كانَ المُنَجَّسُ بِمَيْتِ يَمَسُّ شيئاً من هَذِهِ فهل يتنجَّس. فأجابَ الكهنة وقالوا يتنجَّس."

عن طريق هذين السؤالين، كانَ حجِّي يُوضِّحُ التغيير الذي حدثَ للشعب. فقبلَ السبي، كانوا مثل الإنسان النجس. ونتيجةً لخطاياهم، أصبَحَ كُلُّ ما لمسوه نجساً. ولكن من خلالِ تأديبهم بالسبي، تطهَّروا، وأصبحت أعمالهم في إعادةِ بناءِ الهيكل مُقدَّسةً.

ولكن الذي إحتاجوا إلى فهمه هو أن القداسة لا تنتقل بشكل مباشر عفوي كما تنتقل عدوى النجاسة. فالخطية تنتقل بسهولة، ولكن القداسة تتطلب وقتاً. فإذا أُعطيَت البركات مباشرةً بعد الطاعة، تكونُ بركاتُ الله عندها نتيجة أعمالنا وليس نتيجة نعمته. ودافعنا للقداسة ينبغي أن يكون من منطلق إجلالنا لله، وليس رغبتنا بالبركة. ففي هذه العظة الثالثة، كان حجّي يتحدّاهم ليُرَكِّزوا دوافعهم على خدمة الله بترميم الهيكل.

عظة حجّي الرابعة: "رَكِّزُوا مَخَافَتَكُمْ" (٢: ٢١ - ٢٣)

عندما رجَعُوا إلى أورشليم، لم تكن لديهم طريقة لحماية أنفسهم، وبعد سبعين سنة من السبي والعبودية، أصبحوا يخافون أن يُؤخذوا أسرى وعبداً إلى الأمم من جديد.

لقد تعاملت عظة حجّي الرابعة مع مخاوف الشعب. فتنبأ لهم حجّي بأن الله سيطيح بالأمم التي كانوا يخافونها، وأخبرهم بخطّة الله أن يُزعزع السماوات والأرض.

في هذه العظة الرابعة، تنبأ حجّي أن الله سيزعزع الأرض، لكي لا تبقى إلا الأمور التي لا تتزعزع. إن كاتب رسالة العبرانيين إقتبس من عظة حجّي الثانية، ومن ثم أخبرنا أننا أخذنا ملكوتاً لا يتزعزع (عبرانيين ١٢: ٢٦ - ٢٩). هذا جوهر عظة حجّي الرابعة.

التطبيق الشخصي

طَبِّقْ تعليمَ هذا النبي العظيم على حياتك اليوم. ما هي أولوياتك؟ هل يُباركُ الله عملك؟ وكيف هي حالة حياتك الروحية؟ إن أسوأ جزء من دينونة الله على الأولويات المقلوّبة للشعب العائد من السبي، أن الله دعا بالجفاف عليهم وعلى أعمال أيديهم. هل سبق وشعرت أنك أنت شخصياً تختبر الجفاف الروحي؟ وهل الله يحبس البركة عن عمل يديك؟ إن وجدت نفسك في واحدة من أماكن الجفاف الروحية هذه، تكون رسالة حجّي التعبدية لك: "اجعل قلبك على طرقك، وتأمل بطرق الله."

كيف هي وجهة نظرك؟ هل لديك النوع الصحيح من رؤيا النفق؟ هل تنتظر باستمرار إلى الوراثة وتُفَارِنُ عمل الله الماضي في حياتك، بينما يُريدك الله أن تُرَكِّزَ على العمل الذي يعملهُ اليوم وغداً؟

ما هي دوافعك لخدمة الرب؟ هل تتوقّع البركات مباشرةً بعد خدمتك للرب؟ وهل تعمل عمل الله لأنك تتوقّع أن تنال المكافأة مباشرةً؟

ما هي مخاوفك؟ يتوق حجّي مع بطرس بأن تُلقِيَ كُلَّ هَمِّكَ عَلَيْهِ (١ بطرس ٥: ٧). بناءً على نُبوءة حجّي، دَعِ إيمانك يُرَكِّزُ أولوياتك، وَجْهَةَ نظرك، دوافعك، ومخاوفك.

الفصل الحادي عشر

نُبُوَّةُ زَكَرِيَّا

بينما ألقى حجّي عظامه الأربع، بإمكانكم أن تسمّعوا النبيّ زكريّا، الذي كان أصغرَ سنّاً من حجّي، وهو يقول لهذا النبيّ المُتقدّم في السنّ، "ولكن يا حجّي، عندما لا يكون بيد الشعب المُستضعف أيّة طريقةٍ يحمي بها نفسه، وعندما يصلُ هذا الشعب الفاشل إلى مرحلة اليأس، وعندما يتضايق الشعب المهزوم ويتهدّد بالإضطهاد، فإن هذا الشعب يحتاج لأكثر من أن يسمّع كلماتٍ تقول، "كُونُوا أقوياء واعملُوا" عندما ييأس الشعب لكونهم يختبرون أزمةً أو مأساةً، كُلُّ ما يستطيعون رؤيته هو ظُروفهم المأساويّة.

لقد دُعِيَ النبيّ بالرّائي لأنّه كان بإمكانه أن يرى الله وهو يعملُ خلف الستار، وسط الأزمات. كان الرّائي يرى ما لم يره بقيّة الشعب، لأنّ الرائي كان يرى الله. ولقد كان زكريّا واحداً من أعظم الأمثلة عن "الرّائي" في الكتاب المقدّس.

لقد آمن زكريّا أنّ شعبَ يهوذا المكسورٍ احتاج إلى رؤيا عن الله القادر على كلّ شيء، الذي كان معهم، والذي استطاع أن يُقويهم، وكان سيُحاربُ عنهم. استخدّم الله وعظّ زكريّا ليعطي لهذا الشعب المهزوم، المُفشلّ واليائس هذا النوع من الرؤيا عن نفسه.

أسلوب زكريّا الأدبيّ

إن قلب نبوّة زكريّا هو ثماني رؤى شاركتها مع هؤلاء المسيبين ومعنا. فهو سيركز على مُشكلةٍ كانت تُعذّي حسّ الشعب الراجع من السبي بالفشل واليأس. ثمّ سيرفع الستار ليعلن لنا كيف يعملُ الله خلف ستار تلك المُشكلة. وهو يفعلُ هذا ثماني مرّات في هذه النبوّة الحيويّة. هذا هو أسلوب سفر زكريّا الأدبي.

رسالة زكريّا

إنّ رسالة الله من خلال زكريّا كانت، "إرجعوا إليّ... أرجع إليكم". لقد كان هذا الشعب المسيّ يختبرُ عودةً إلى أرضه، بحسب ما تنبأ الأنبياء. ومن خلال وعظ زكريّا، كان الله يُطالب شعبه بعودةٍ رُوحيةٍ، ليس للمدينة أو للهيكَل، بل لنفسه. وهذا ما يُشدّد عليه الله حيال شعبه في آخر الأيام، كما يتنبأ بولس الرسول قائلاً "وهكذا سيخلص جميع إسرائيل". (زكريّا ٨: ٢٠-٢٣؛ رومية ١١: ٢٦؛ وإشعيا ٥٩: ٢٠، ٢١).

لقد استخدم زكريّا ثلاثاً وخمسين مرّةً عبارة "ربّ الجنود" التي تُشير إلى الله ربّ الجنود الملايكيّة والنجوم وكلّ قوّات الطبيعة، التي يستخدمها الله لإتمام مقاصده في هذا

العالم. بمعنى ما تُلخّص هذه العبارة كُلُّ نُبُوءَاتِ زكريّا، لأنَّ كُلَّ رُؤَاةِ سَتُخْبِرُنَا أَنَّهُ رَأَى اللّٰهَ رَبَّ الْجُنُودِ، فِي وَقْتٍ كَانَ فِيهِ شَعْبُ اللّٰهِ عَاجِزاً عَنِ الدِّفَاعِ عَنِ نَفْسِهِ.

لقد رأى زكريّا رَبَّ الْجُنُودِ يَعْمَلُ بِثَلَاثِ طُرُقٍ نِيَابَةً عَنِ شَعْبِهِ. أَوَّلًا، كَانَ هُنَاكَ رَبُّ الْجُنُودِ نَفْسَهُ. ثَانِيًا، وَهِيَ أَهْمُ طَرِيقَةٍ سَيُرْجَعُ اللّٰهُ النَّاسَ إِلَيْهِ هِيَ مِنْ خِلَالِ مَا يُسَمِّيهِ زَكْرِيَّا "العُصْن". بِاسْتِنَاءِ إِصْحَاحَاتِ إِشْعِيَاءِ السَّنَّةِ وَالسَّنَيْنِ، إِحْتَوَتْ إِصْحَاحَاتُ زَكْرِيَّا الأَرْبَعَةَ عَشَرَ عَلَى نُبُوءَاتٍ مَسِيَاوِيَّةٍ، أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ نَبِيِّ آخَرَ. عِنْدَمَا جَاءَ الْمَسِيَّا تَطْبِيقًا لِنُبُوءَةِ زَكْرِيَّا، قَالَ الْمَسِيحُ لِشَعْبِ اللّٰهِ بِصَرَاحَةٍ وَوُضُوحٍ، "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ (لِلرُّجُوعِ إِلَى اللّٰهِ)... لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلَّا بِي" (يُوحَنَّا ١٤ : ٦).

الطريقة الثالثة التي كررَ بها زكريّا أَنَّ اللّٰهَ سَيُرْجَعُ إِلَيْنَا وَسَيُرْجِعُنَا إِلَى نَفْسِهِ، هِيَ الوَعْدُ المعروف بيوم الخمسين: "لا بالقُدرة ولا بالقُوَّة بل بِرُوحِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ." (٤ : ٦) لقد تنبأ زكريّا بِمُعْجَزَةِ يَوْمِ الخَمْسِينَ وبالبركات التي سَتَحِلُّ فِيهِ عَلَى شَعْبِ اللّٰهِ.

بهذه الطريقة، رَسَمَ زَكْرِيَّا لَوْحَةً جَمِيلَةً عَنِ الثَّالُوثِ. إِنْ رَبَّ الْجُنُودِ هُوَ اللّٰهُ الآبُ؛ وَطَرِيقُ الرُّجُوعِ إِلَى اللّٰهِ الآبِ هُوَ مِنْ خِلَالِ العُصْنِ، الَّذِي هُوَ الإِبْنِ. عِنْدَمَا سَيُرْجَعُ شَعْبُ اللّٰهِ إِلَى الآبِ عَنِ طَرِيقِ الإِبْنِ، سَيُعْطِيهِمُ الإِبْنُ قُوَّةَ الرُّوحِ القُدُسِ يَوْمَ الخَمْسِينَ.

رُؤَى زَكْرِيَّا الثَّمَانِيَّة

إِنَّ كَلِمَةَ "رُؤْيَا" هِيَ العِبَارَةُ اليُونَانِيَّةُ الَّتِي تَعْنِي "الإِعْلَانِ". وَالإِعْلَانُ يَعْنِي كَشْفَ السِّتَارِ. تَعْنِي كَلِمَةُ "رُؤْيَا"، "إِزَاحَةُ السِّتَارِ للإِعْلَانِ عَمَّا لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا أَنْ يُعْرَفَ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى." لَقَدْ أَزَاحَ زَكْرِيَّا السِّتَارَ ثَمَانِي مَرَّاتٍ وَأَظْهَرَ لِشَعْبِ اللّٰهِ مَا كَانَ يَعْمَلُهُ اللّٰهُ خَلْفَ السِّتَارِ. لَقَدْ أَعْطَى اللّٰهُ هَذِهِ الرُّؤْيَى لَزَكْرِيَّا لِتَقْوِيَّةٍ وَتَشْجِيعِ شَعْبِ اللّٰهِ العَاجِزِ وَالْيَائِسِ.

الرُّؤْيَا الأُولَى: رُؤْيَا مَحَلَّةِ الظَّلَالِ (١ : ١ - ١٧)

بِحَسَبِ الكَثِيرِينَ مِنْ مُفَسِّرِي الكِتَابِ المَقْدَسِ، الرَّجُلُ الَّذِي يَقِفُ بَيْنَ الأشْجَارِ فِي الوَادِي يُشِيرُ إِلَى الإِخْتِيَارِ الصَّعْبِ فِي المَرَحَلَةِ الإِنْتِقَالِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَخْتَبِرُهَا المَسِيئُونَ العَائِدُونَ. إِنْ هَذِهِ المَرَحَلَةُ الإِنْتِقَالِيَّةُ، بَيْنَ عَوْدَتِهِمُ العَاجِئِيَّةِ مِنْ عُبُودِيَّةِ السَّبِي فِي بَابِلَ، وَتَحْدِيثِ تَحْوِيلِ الرُّكَامِ إِلَى هَيْكَلٍ، كَانَتْ مَرَحَلَةً مُحِبِّطَةً لِلْعَزِيمَةِ لِهَذَا الشَّعْبِ. بِكَلِمَاتٍ أُخْرَى، لَقَدْ وَجَدُوا أَنفُسَهُمْ فِي قَعْرِ الوَادِي. وَالعَقَبَةُ المَنْظُورَةُ "أَمَامَ الحِجَابِ" الَّتِي كَانَتْ تُحْبِطُ مِنْ عَزِيمَتِهِمْ، كَانَتْ الحَقِيقَةُ الثَّابِتَةُ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا أُمَّةً، بَلْ زُمْرَةً مِنَ اللَّاجِئِينَ الفُقَرَاءِ. لَقَدْ كَانُوا يَمُرُّونَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ المَرَاجِلِ الإِنْتِقَالِيَّةِ المُرْبِعَةِ الَّتِي نَخْتَبِرُهَا جَمِيعًا.

عندما أزاح زكريّا الستار، رأى ما أسماه، "المراقب"، الذي كان ربّ الجنود. لقد كان الله وإعياً وكان يُراقبُ هذه المرحلة الإنتقاليّة التي مرّ فيها شعبه. وبعد كلّ هذا، أنهى الله عبوديّة شعبه بطريقةٍ مُعجزيّة. في وقته وطريقته، كان الله سيّتمّ خطّته لشعبه بعودةٍ جُغرافيّة إلى أرضهم وبعودةٍ رُوحيةٍ إلى إلههم.

عندما يُريدُ الله أن يصنعَ شيئاً جديداً في حياتنا، عندما يدعونا إلى مكانٍ جديد، مُعظّمنا نضعُ أمامَ الله مُعظّم الأوقات ثلاثة عوايق. فبما أننا دائماً نبحتُ عن الأمان، لا نرغبُ بتركِ عشنا القديم الأمين الذي نعيشُ ونخدم فيه الآن. لهذا يتوجّب أن يُخرجنا الله من مكاننا القديم، قبل أن يقودنا إلى المكان الجديد. لهذا يكونُ لدعوةِ الله عادةً إتجاهين، سحبٌ من المُقدّمة ودفعٌ من الخلف. بكلماتٍ أخرى على الله أن يدفعنا إلى خارج مكاننا القديم لكي يستطيع أن يقودنا إلى الجديد. هل بإمكانك أن تفكّر كيف يعملُ الله معك هذه المُعجزة؟ أنا أسمي هذه المُعجزات "التدخلات الإلهية".

وعندما نكونُ ما بين القديم والجديد، ينبغي أن يدفعنا الله لنتابع التحركَ لكي يُخرجنا من هذه المرحلة الإنتقاليّة. ثمّ ينبغي أن يُصححَ أوضاعنا لكي يجعلنا نستقرُّ في المكان الجديد والأمر الجديد الذي يُريد أن يعملهُ في حياتنا وخدمتنا. عندما كان بنو إسرائيل في مصر وأرادهم الله أن يكونوا في أرض الموعود، وصفَ الله هذه المُعجزة بهذه الطريقة: "لقد أخرجتكم لكي أدخلكم." (تثنية ٦: ٢٣).

الرؤيا الثانية: القرون الأربعة (١: ١٨ - ٢١)

تُشيرُ القرونُ في الكتاب المقدّس إلى القوّة. فالعقبة المنظورة أمام الستار، والتي كانت تُغذي مخاوفهم، كانت القوّة الرهيبة للأمبراطوريات العالمية التي اجتاحتهم وإستعبدتهم عندما كانوا لا يزالون أمةً قويّة.

عندما أزاح زكريّا الستار، ما رآه خلف الستار وأظهره للمسيّبين منحهم الشجاعة والرجاء. خلف الستار، أعلنَ زكريّا عن القوّة العالميّة العظيمة التي كان سيستخدّمها ربّ الجنود لكي يُدَمِّرَ هذه "القرون" أو القوّة العالمية التي خاف منها الشعبُ أن تستعبدَهم.

الرؤيا الثالثة: مدينةُ أُورشليم (٢: ١ - ٤، ١٠ - ١٣)

لقد كانت المُشكلة المنظورة أمام الستار هي الرُكام الذي كان مرّةً مدينةُ أُورشليم الجميلة. وعندما رفعَ زكريّا الستار، ما رآه خلف الستار وأعلنهُ للشعب كان مدينةُ أُورشليم الجميلة وقد أُعيدَ بناؤها. لقد أظهرَ لهم هذا الإعلان أن ما كان عندها مُجرّد رُكام، كان سيُصبحُ مدينةً عظيمةً تفوق الوصف والقياس، والتي سيُدافع عنها ربّ الجنود. أُورشليمُ هذه لن تحتاج إلى أسوار.

لقد تمَّ إعادة بناء أورشليم والهيكل، ولقد زارَهما يسوعُ مراراً كثيرة. وبعدَ يسوع بأربعين سنةً، دَمَّرَت رُوما أورشليمَ تماماً، ومن ثمَّ أُعيدَ بناؤها لتكونَ كما هي عليه اليوم. وكُلُّ الطُقُوس التي رافقت تقديم الذبائح الحيوانية قد أُبطلت نهائياً عندما دَمَّرَت رُوما أورشليم عام ٧٠ ميلادية. بينما تحققت نبوءة زكريَّا هذه جزئياً عندما أُعيدَ بناء أورشليم قبل المسيح، فبعدَ تدمير مدينة أورشليم كلياً على يد الرومان، فإن هذه النبوءة ستتحقق في أورشليم الجديدة التي تنبأ عنها بإسهاب الرسول يوحنا (رؤيا ٢١: ٢).

الرؤيا الرابعة: المشتكي على الإخوة (٣: ١-٢؛ ٨-١٠).

المُشكلة التي ركَّزَ عليها زكريَّا أمام الستار، والتي كانت تُحبط من عزيمة المسييين كانت رؤيا يهوشع رئيس كهنتهم يرتدي ثياباً رثةً. في هذه الرؤيا، كان الشيطان يشتكي على يهوشع. إنَّ وصمة خطية عبادة الأوثان، التي عُفرت وتطهرت عبر إختبار السبي، كانت على الأرجح نقطة تركيز إتهامات الشيطان.

فالشيطان المُشتكي يستخدم عواقب أو آثار الخطايا التي عُفرت، لكي يشتكي على الإخوة نهاراً وليلاً. نقرأ في سفر الرؤيا أنه عندما سينتهي عمل إبليس، عندها سيحلُّ الخلاص والقوة وملكوت إلهنا وقوة مسيحه (رؤيا ١٢: ١٠).

عندما أزاح زكريَّا الستار، رأى وأعلن للشعب رؤياه عن الثالوث – رب الجنود، والتعابير القادمة عن محبة الله وسلطته، من خلال المسيَّا، الذي دعاه "المحامي". ولقد رأى أيضاً الروح القدس، ومُعجزات مُستقبلية ستكون جزءاً من مجيء يسوع المسيح ثانٍ.

الرؤيا الخامسة: شمعدان الذهب الذي يتغذى بالزيت (٤: ١-٧)

المُشكلة أمام الستار في هذه الرؤيا والتي كانت تُساهم في تحبيط عزيمة المسييين من اليهود كانت المسؤولية المُلقاة من قِبَلِ الله على عاتقهم أن يشهدوا بكلمة الله للعالم أجمع. وبما أنَّهم كانوا الشعب الذي استلم كلمة الله من أجل العالم أجمع، كانت عليهم مسؤولية عيش هذه الكلمة أمام العالم أجمع، والشهادة بهذه الكلمة للعالم أجمع. فركام الهيكل والمدينة والأمة وحياتهم الشخصية، كُلها جعلتهم يشعرون أنَّهم كانوا مجرد فاشلين في تعليمهم لكلمة الله وتقديمهم مثلاً عنها.

هل سبق لك واجتزت في صحراء رُوحية عبر مَرَضٍ، إكتئاب، أو أي شكل آخر من أشكال الهزيمة الروحية، عندما يُوجه إبليس هذه الإتهامات ضدك؟ هل سبق وهمس في أذنيك في هكذا مراحل صعبة وهو يُعيرك قائلاً، "هل أنت هو الذي كان يُفترض به أن يكون مثلاً للعالم أجمع، ملح الأرض ونور العالم؟"

عندما أزاح زكريّا الستار، رأى الرُّوحَ القُدُسَ الذي يُشارُ إليه بالرَّيْتِ: "لا بِالقُوَّةِ ولا بِالقُدْرَةِ، بل بِرُوحِي قَالَ رَبُّ الجُنُودِ." (٤ : ٦). إِنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا أَكَّدَتْ لَهُمْ أَنَّ اللّهَ سَيُؤْهِلُهُمْ لِيَكُونُوا كَمَا دَعَاهُمْ أَنْ يَكُونُوا، وَأَنْ يَعْمَلُوا مَا دَعَاهُمْ ليعْمَلُوا، مِنْ خِلالِ قُوَّةِ الرُّوحِ القُدُسِ. هُنَا، تَمَاماً مِثْلَ النَّبِيِّ يُونِيلِ، يُعْطِينَا زَكْرِيَّا نُبُوَّةً رَائِعَةً عَنْ يَوْمِ الخَمْسِينَ."

الرُّؤْيَا السَّادِسَةُ: الدَّرَجُ الطَّائِرِ (٥ : ١ - ٤)

المُشْكِلةُ المُركِّزُ عليها في هذه الرُّؤْيَا هي أَنَّ العائِدِينَ مِنَ السَّبْيِ كَانُوا يَرزَحُونَ تَحْتَ سُلْطَةِ الشَّرِّ. فَعِنْدَمَا تَسوُّهُمُ الأَوْضَاعُ فِي زَمَانٍ وَمَكَانٍ مُعَيَّنِينَ فِي العَالَمِ، سَيَكُونُ مِنَ السَّهْلِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الحِكْمَةِ، أَنْ نُصَبِّحَ مَغْمُورِينَ تَحْتَ سُلْطَةِ الشَّرِّ. إِنَّ سَطْوَةَ سُلْطَةِ الشَّرِّ أَقْتَعَتْ شَعْبَ اللّهِ أَنَّ قُوَّةَ الخَيْرِ وَقُوَّةَ اللّهِ لَنْ تَنْتَصِرَ أَبَداً عَلَى سُلْطَةِ وَقُوَّةِ الشَّرِّ.

عندما أزاح زكريّا ستارَه الخيالي مُجدِّداً، رأى خَلْفَهُ وَأَعْلَنَ للشَّعْبِ مِنْ خِلالِ وَعْظِهِ، أَنَّ رَبَّ الجُنُودِ سَيُؤْهِلُ شَعْبَ اللّهِ لِيَنْتَصِرُوا عَلَى قُوَّةِ الشَّرِّ. بِحَسَبِ رُؤْيَا زَكْرِيَّا هَذِهِ، اللّهُ يُرَاقِبُ، يُحَدِّدُ، وَبشْكَلٍ مَا يَسْتخدِمُ الشَّرَّ مِنْ أَجْلِ مَجْدِهِ وَإِتْمَامِ مَقاصِدِهِ. رُغْمَ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَيُّ شَيْءٍ صَالِحٍ فِي الشَّرِّ، وَلَكِنَّ اللّهَ يُدْخِلُ الشَّرَّ فِي حُطَّتِهِ لِخَيْرِ شَعْبِهِ (إشعياء ٤٥ : ٧؛ رومية ٨ : ٢٨).

الرُّؤْيَا السَّابِعَةُ: المِراةُ الجالِسةُ في السَّلَّةِ (٥ : ٥ - ١١)

المُشْكِلةُ الَّتِي يُرَكِّزُ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا هُنَا أَمَامَ السِّتَارِ لَهَا عِلاَقَةٌ بِالغِشِّ فِي أسْوَاقِ العَالَمِ. وَعِنْدَمَا أَزَاحَ زَكْرِيَّا السِّتَارَ، أَعْلَنَ عَنْ حَقِيقَةِ كَوْنِ الغِشِّ فِي أسْوَاقِ العَالَمِ يَحُدُّ مِنْهُ رَبُّ الجُنُودِ، وَفِي النِّهَايَةِ سَوْفَ يَقْضِي عَلَيْهِ رَبُّ الجُنُودِ نِهَايَةً.

رُغْمَ أَنَّنَا لَا نَفْهَمُ هَذَا، وَلَكِنَّ اللّهَ يَسْتخدِمُ الشَّرَّ فِي هَذَا العَالَمِ، لَكِي يُتِمَّ مَقاصِدَهُ وَيُجَدِّدَ نَفْسَهُ. فَكَمَا يَسْتخدِمُ صَانِعُ الجِوَاهِرِ خَلْفِيَّةً مَحْمَلِيَّةً دَاكِنَةً اللَّوْنَ ليعْرِضَ عَلَيْهَا مَاسَاتِيهِ، يَسْتخدِمُ اللّهُ خَلْفِيَّةَ الشَّرِّ الدَاكِنَةَ فِي أسْوَاقِ هَذَا العَالَمِ لَكِي يعْرِضَ عَلَيْهَا مَحَبَّتَهُ غَيْرَ المُشْرُوطَةَ. هَذِهِ المَحَبَّةُ عُبِّرَ عَنْهَا فِي عُفْرَانٍ وَتَحْرِيرِ شَعْبِ اللّهِ مِنَ العُبُودِيَّةِ، وَسَوْفَ تُعْرَضُ مِنْ خِلالِ الخِلاصِ الَّذِي بَوَاسِطَتِهِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرْجِعَ إِلَى اللّهِ وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَيْنَا.

الرُّؤْيَا الثَّامِنَةُ: المِركِبَاتُ الأَرْبَعُ (٦ : ١ - ٨)

المُشْكِلةُ الَّتِي يَرَكِّزُ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا فِي هَذِهِ الرُّؤْيَا، وَالَّتِي كَانَتْ تُغَدِّي مَخَافَ وَإِحْبَاطَ شَعْبِ اللّهِ، هِيَ أَنَّ الحُكُومَةَ البَشَرِيَّةَ كَانَتْ فَاسِدَةً لَدَرَجَةِ أَنَّ شَعْبَ اللّهِ فَقَدُوا ثِقَتَهُمْ بِهَا. وَفِي كُلِّ أُنْحَاءِ العَالَمِ اليَوْمِ، نَجِدُ الكَثِيرَ مِنَ الفِسادِ فِي سِياساتِ الحُكُومَةِ البَشَرِيَّةِ، لَدَرَجَةٍ أَنْ الشُّعُوبَ تَفْقِدُ الثِّقَةَ بِأَنْظِمَتِها الحُكُومِيَّةِ، وَبِقَادَتِها العَسْكَرِيَّةِ.

ما رآه زكريّا خلف الستار يُشبهه رسالة النبي ميخا. فالشكل الوحيد النقي للحكومة هو ملكوت الله. وإلى أن يحكم ملك الملوك وربُّ الأرباب، لن تكون هناك حكومة غير متورّطة بالفساد. ولكن، كما في الرؤيتين السابقتين، الله هو الذي يسيطر على الأمور، لأنّه سيّد مُطلق. وحكومة ملكوت الله ستكون منظمةً بانسجام كامل.

نُبُوءَاتِ زَكَرِيَّا الْمَسِيَاوِيَّةِ

قادةٌ كثيرونَ لشعبِ الله لم يؤمنوا بالمسيّا المنقذ، وهكذا كانوا يُحيطونَ من عزيمَةِ الذين يؤمنون. أظهرت نُبُوءَاتُ زَكَرِيَّا الْمَسِيَاوِيَّةِ أَنَّ اللَّهَ سَيُتَوَجَّحُ فِي النَّهَائِيَّةِ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأرباب، الذي سيكونُ له دورُ النبي، الكاهنِ والمَلِكِ في مُلْكِهِ الألفي.

إن بعضَ الأمثلةِ عن نُبُوءَاتِ زَكَرِيَّا الْمَسِيَاوِيَّةِ التي تنبأت عن المجيء الأول للمسيّا هي: ٨:٣؛ ٩:٩؛ ٩:١٦؛ ١١:١١؛ ١١:١١-١٣؛ ١٢:١٠؛ ١٣:١؛ ١٣:٦). إن بعضَ الأمثلةِ عن نُبُوءَاتِ زَكَرِيَّا الْمَسِيَاوِيَّةِ، والتي تنبأت بالمجيء الثاني للمسيّا، هي: ٦:١٢؛ ٨:٢٠-٢٣؛ ١٤:١-٩). أحدُ هذه المراجع هي نُبُوءَةُ زَكَرِيَّا التي تُبرزُ نبويّاً عودةَ اليهود رُوحياً إلى الله. يعتقدُ المُفسِّرونَ المُحافظونَ أنّ هذه النبوة يمكن أن تكون قد تحققت جزئياً يومَ الحَمسين، وسوف تتحقّق في آخر الأيّام (٨: ٢٠-٢٣).

الفصل الثاني عشر

نُبُوَّةُ مَلَاخِي

تَفَشَّتْ مُؤَخَّرًا فِي شَمَالِي أَمْرِيكَ عَدْوَى التَّعَثُّرِ الْأَخْلَاقِي الَّذِي أَصَابَ بَعْضَ الْقَادَةِ الرُّوحِيِّينَ. آخِرُ سَفَرٍ مِنْ أَسْفَارِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ يَحْتَوِي عَلَى رِسَالَةٍ لِلْقَادَةِ الرُّوحِيِّينَ. قَدَّمَ هُوشَعَ مِلَاحِظَةً دَقِيقَةً وَفِي مَحَلِّهَا: "كَمَا الشَّعْبُ هَكَذَا الْكَاهِنُ" (هُوشَعَ ٤ : ٩). هَذَا مَا يَجْعَلُ مِنْ سَفُوطِ قَائِدِ رُوحِيٍّ يَكُونُ ذَا تَأْتِيرٍ هَدَامٍ إِلَى هَذَا الْحَدِّ عَلَى شَعْبِ اللَّهِ، عَلَى عَمَلِ اللَّهِ، وَعَلَى مَجْدِ اللَّهِ. يُقَدِّمُ مَلَاخِي تَشْرِيحًا مُفْصَلًا لِسَفُوطِ الْقَائِدِ الرُّوحِي. وَقَصْدُهُ هُوَ أَنْ يُظْهِرَ لِأَوْلِيَاكَ الَّذِينَ يَقُودُونَ شَعْبَ اللَّهِ كَيْفَ يَتَحَاشُونَ هَذَا الْخَطَرَ الَّذِي يُحْدِقُ بِهِمْ يَوْمِيًّا، وَكَيْفَ يُرَمِّمُوهُمَ عِلَاقَتَهُمْ مَعَ اللَّهِ عِنْدَمَا يَسْفُطُونَ.

ظَهَرَ مَلَاخِي عَلَى السَّاحَةِ بَعْدَ حَجِّي وَزَكَرِيَّا بِحَوَالِي مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَعْدَ نَحْمِيَا بِحَوَالِي عَشْرَ سِنَوَاتٍ. وَلَقَدْ وَاجَهَ مَلَاخِي الْمَشَاكِلَ نَفْسَهَا الَّتِي وَاجَهَهَا نَحْمِيَا، مِثْلَ عَدْوَى الطَّلَاقِ، الْإِنْحِلَالِ الْأَخْلَاقِي، وَفَسَادِ الْكَهَنَةِ (نَحْمِيَا ١٣ : ٢٣ - ٢٥). وَبِمَا أَنَّهُ ضَمَّ صَوْتَهُ إِلَى صَوْتِ أَنْبِيَاءِ آخَرِينَ فِي الْإِقَاءِ لِأَمَّةٍ هَذِهِ الْمَشَاكِلَ عَلَى الْكَهَنَةِ الْفَاسِدِينَ، وَجَّهَ مُعْظَمَ رِسَالَتِهِ إِلَى الْكَهَنَةِ الَّذِينَ كَانُوا الرُّعَاةَ الرُّوحِيِّينَ لِشَعْبِ يَهُوذَا.

إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ الشَّجَاعَ سَوْفَ يَنْهَمُ الْكَهَنَةَ بِأَنَّهُمْ تَرَكَوا سُبُلَ اللَّهِ، وَلَمْ يَكُونُوا يُطِيعُونَهُ، وَكَانُوا يَدْفَعُونَ الْكَثِيرِينَ نَحْوَ الْخَطِيئَةِ بِنَصِيحَتِهِمُ الْبَعِيدَةِ عَنِ اللَّهِ. كَانَ تَصَرُّفُ الْكَهَنَةِ مُشِينًا فِي أَعْيُنِ الشَّعْبِ مِمَّا جَعَلَ مِنَ الْكَهَنَةِ مُحْتَقَرِينَ وَدَنِيئِينَ" (مَلَاخِي ٢ : ٧-٩).

كَانَ مَلَاخِي نَبِيًّا عِنْدَمَا كَانَ شَعْبُ اللَّهِ يَجْتَازُونَ فِي تَغْيِرَاتٍ، مَعَ نَوْعٍ مِنَ الدِّيَانَةِ الَّتِي إِفْتَقَرَتْ إِلَى جَوْهَرٍ مَلْمُوسٍ، وَعِنْدَمَا أَنْكَرُوا حَقِيقَةَ الْعِلَاقَةِ مَعَ اللَّهِ. لَقَدْ كَانَ الشَّعْبُ بَارِدًا وَلَا مُبَالِيًا لِدَرَجَةِ سَبَبَتِ أَلْمَا شَدِيدًا لِهَذَا النَّبِيِّ التَّقِيِّ. إِنَّ نُبُوَّةَ مَلَاخِي كَانَ تَحْذِيرًا لِلْقَادَةِ الرُّوحِيِّينَ مِنْ شَعْبِ يَهُوذَا أَنَّ النِّظَامَ وَالشَّكْلَ بِدُونِ حَيَاةٍ هِيَ حَالَةٌ تُشْبِهُ جُنَّةَ الْمَيِّتِ.

لَمْ يُقَدِّمِ آخِرُ أَنْبِيَاءِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ الرَّؤْيَى كَمَا فَعَلَ زَكَرِيَّا، أَوْ حَجِّي، مُتَحَدِّيًا شَعْبَ اللَّهِ لِإِنْبَاءِ الْهَيْكَلِ. بَلْ كَانَ جَوْهَرُ رِسَالَتِهِ أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ تَكُونَ لَهُ عِلَاقَةٌ مُحَبَّةٌ مَعَ شَعْبِهِ، وَلَكِنَّ الْكَهَنَةَ وَشَعْبَ يَهُوذَا لَمْ يَكُونُوا مُهْتَمِّينَ بِمَعْرِفَةِ وَبِمَحَبَّةِ اللَّهِ. مِثْلَ هُوشَعَ، أَمَّنَ مَلَاخِي أَنَّ شَعْبَ اللَّهِ كَانُوا يَرْتَكِبُونَ خَطِيئَةَ الرِّئَايَةِ مَعَ الْعَالَمِ.

عِنْدَمَا أَرْسَلَ الْمَسِيحُ الْحَيُّ الْقَائِمُ مِنَ الْأَمْوَاتِ رِسَالَةً إِلَى كَنِيسَةِ الْجِيلِ الْأَوَّلِ فِي مَدِينَةِ أَفْسُسَ، وَبَحَثَهُمْ لِأَنَّهُمْ تَرَكَوا "مَحَبَّتَهُمُ الْأُولَى" (رُؤْيَا ٢ : ٤). إِنَّ الْمَشْكَلَةَ الْعَقَبَةَ الَّتِي

عالمها هذا النبيُّ التقيُّ هي أنَّ شعبَ يَهُودَا، وخاصَّةً الكهنة، تركوا محبَّتَهُم الأولى – أي علاقتَهُم معَ الله – وعاشوا حياةً مُلَطَّحَةً بِالخَطِيئَةِ.

يبدأ ملاخي نُبوَّتَهُ بهذه الكلمات الجميلة: "وحي كَلِمَةِ الرَّبِّ عَلَى يَدِ مَلَاخِي: أَحْبَبْتُكُمْ قَالَ الرَّبُّ" (١: ١، ٢). بينما يقرأُ النَّاسُ الكِتَابَ المُقَدَّسَ، كَثِيرُونَ مِنْهُمْ لَا يَتَوَقَّعُونَ أَنْ يقرأوا عن محبَّةِ اللهِ إِلَى أَنْ يَصِلُوا إِلَى العَهْدِ الجَدِيدِ، وَلَا سِيَّما الموعِظَةُ عَلَى الجَبَلِ. فَهُمْ لَا يَتَوَقَّعُونَ أبداً أَنْ يَجِدُوا مَفهُومَ محبَّةِ اللهِ فِي أسفارِ أنبياءِ العَهْدِ القَدِيمِ. إِنَّ محبَّةَ اللهِ هي بالحقيقة موضوعُ كِتَابَاتِ الأنبياءِ مثلِ مرثيِ إرميا، هُوشَع، يُونان، وملاخي.

بالنسبة لرجالِ اللهِ فِي العَهْدِ القَدِيمِ، أَحَبَّ اللهُ شَعْبَهُ محبَّةً لَمْ تُكْتَسَبْ بِإِنجَازَاتِهِم الإيجابية، وَلَمْ تُفَقَدْ بِإِنجَازَاتِهِم السلبية. إنَّ جَوْهَرَ نُبوَّةِ مَلَاخِي كَانَ أَنَّ اللهُ أَحَبَّ الكهنةَ وشعبَ يَهُودَا. وَبَيْنَمَا كَانَ مَلَاخِي يُشَارِكُ بِمَا فِي قَلْبِهِ، ضَمَّ صَوْتَهُ إِلَى الأنبياءِ، وَأَعْلَنَ أَنَّ اللهُ أَحَبَّ شَعْبَهُ بِدُونِ شُرُوطٍ وَمَهْمَا كَانَتْ حَالَتُهُمْ، وَأَرَادَ أَنْ يَبْنِي عِلَاقَةً محبَّةً مَعَهُمْ.

رُغْمَ أَنَّ محبَّةَ اللهِ هي غيرُ مشروطة، وَلَكِنْ بسببِ كونِ قُلُوبِهِمْ باردةً تجاهَ اللهِ، وَكونِهِم يعيشونَ فِي الخَطِيئَةِ، كَرَّرَ مَلَاخِي قَائِلاً أَنَّ الكهنةَ وشعبَ يَهُودَا كانوا يجرَحُونَ قَلْبَ اللهِ المُحِبِّ. كانتِ رِسَالَةُ مَلَاخِي أَنْ يُظْهِرَ لِكهنةِ وشعبِ يَهُودَا المُرتدِّينَ الباردِ القلوبِ والخُطَاةِ، كَيْفَ تحطَّمتِ علاقتُهُم معَ اللهِ، وكَيْفَ يُمكنُهُم ترميمَ هذه العِلَاقَةِ. إِنَّ هَدَفَ وَرِسَالَةِ نُبوَّةِ مَلَاخِي كَانَ نهضةً فِي قُلُوبِ الكهنةِ والَّذِينَ كانَ يراعُهُم الكهنةَ.

أسلوبِ مَلَاخِي الأديبي

لقد استخدَمَ مَلَاخِي أسلوباً أديبياً مُشابهاً لِأسلوبِ حَبَّقُوق، وَحَدِيقاً مثله. إنَّ كُنْتَ قد حاولتَ كوالِدِ أَنْ تُحَادِثَ أَحَدَ أبْنائِكَ المُراهقينَ المُتمردِّينَ، فسوفَ تُقدِّرُ قِيَمَةَ الأسلوبِ الَّذِي إختارَهُ مَلَاخِي لِيشَارِكَ بِالرِسَالَةِ الَّتِي أعطاهُ إِيَّاهُ اللهُ لِشعبِهِ. وبإمكانِكَ أَنْ تُسمِّيَ أسلوبَ مَلَاخِي الأديبي، مثلَ أسلوبِ حَبَّقُوق، "بالمُنَاطَرَةِ أو المُقارَعة".

يُلقي مَلَاخِي فِي نُبوَّتِهِ إتهاماً يَقولُ مِنْ خِلالِهِ لِلكهنةِ ولشعبِ يَهُودَا أينَ ومتى وكيفَ إبتعدوا عن علاقتِهِم معَ اللهِ. وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَفعَلُ هَذَا، كانَ شعبُ اللهِ يُنكِرُونَ الإتهامَ، وَتماماً كما يَفعَلُ الفتى المُراهقُ الَّذِي يُشاكِسُ وَالِدِيهِ، كانَ الشعبُ يسألُ، "مَنْ، نحنُ؟" أو، "متى فعلنا هذا؟" يَقولُ النبيُّ مَلَاخِي أَنَّ اللهُ هو الَّذِي يُوجِّهُ هَذِهِ الإتهاماتِ. وَلَكِنَّ الشعبَ رَفَضَها كُلَّها، وَرَفَضُوا أَنْ يعترفُوا بِالْحَقِيقَةِ المُرَّةِ لِهَذِهِ الإتهاماتِ الَّتِي وَجَّهَها إِلَيْهِم الأبُّ السماويُّ مِنْ خِلالِ هَذَا النبيِّ الأَمِينِ.

هُنَاكَ سبعةُ أمثلةٍ عَلَى هَذِهِ الأَجوبَةِ الإستنكاريَّةِ الرافضةِ الَّتِي نطقَ بِها شعبُ اللهِ، وَالَّتِي شكَّلتِ النُّقَاطَ الرئيَسيَّةَ فِي هَذِهِ المُنَاطَرَةِ، وَبالتالي فِي هَذَا السَفرِ. وَلقد دعا أَحَدُ

مُفسِّرِي الكتابِ المقدَّسِ، والذي فتحَ عينيَّ على فهمِ الأنبياءِ، دَعا هذه الأمثلة السبع للأجوبة
الإستنكاريَّة، "الهمساتُ السبع للقلبِ الذي تفتُرُ محبَّتُهُ تجاهَ الله."

الفصل الثالث عشر

الهمساتُ السبع للقلب الذي تفتُرُ محبَّتهُ تجاهَ الله

الهمسةُ الأولى: الشكُّ بِمَحَبَّةِ اللهِ (١ : ١-٥)

عندما بدأ ملاخي نُبُوَّتَهُ بقوله، "وَحِي كَلِمَةُ الرَّبِّ لِإِسْرَائِيلَ عَنِ يَدِ مَلَاخِي. أَحْبَبْتُمْ قَالَ الرَّبُّ،" جاءَ جوابُ الشعبِ الإِسْتِنْكَاريِّ، "وَقُلْتُمْ بِمَ أَحْبَبْتُنَا؟" وجواباً على هذا الجوابِ الإِسْتِنْكَاريِّ، قدَّمَ النَّبِيُّ مَلَاخِي عِدَّةَ بَرَاهِينِ عَنِ مَحَبَّةِ اللهِ لِشَعْبِ يَهُوذا.

كُلُّ عِلَاقَةِ حُبِّ لَهَا بُعْدَان. هَذَانِ الْبُعْدَانُ هُمَا الْأَخْذُ وَالْعَطَاءُ. هُنَا يُطْرَحُ سُؤَالٌ دَقِيقٌ هُوَ: "إِنْ لَمْ تُعَدْ قَرِيباً مِنَ اللهِ كَمَا كُنْتَ فِي السَّابِقِ، فَمَنْ هُوَ الَّذِي ابْتَعَدَ عَنِ الْآخِرِ؟" أَوْ "إِنْ لَمْ تُعَدْ لَدَيْكَ عِلَاقَةٌ مَحَبَّةً مَعَ اللهِ، الَّتِي كَانَتْ لَدَيْكَ سَابِقاً، فَمَنْ هُوَ الَّذِي تَوَقَّفَ عَنِ مَحَبَّةِ الْآخِرِ؟" عِنْدَمَا نَشْكُ بِمَحَبَّةِ اللهِ لَنَا هَذَا يَعْنِي أَنَّ هُنَاكَ خَطْبٌ مَا فِي مَحَبَّتِنَا لِلهِ.

فِي سَفَرِ الرُّؤْيَا، الْقَادَةُ الَّتِي كَانُوا رُعَاةَ شَعْبِ اللهِ لِأَلْفِ السَّنِينَ يُصَوِّرُونَ كَأَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ شَيْخاً يَجْلِسُونَ عَلَى عُرُوشٍ صَغِيرَةٍ حَوْلَ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ فِي السَّمَاءِ. يُوصَفُ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةَ وَالْعِشْرُونَ شَيْخاً بِأَنَّهُمْ يَرْتَدُونَ أَثْوَاباً بَيْضَاءَ، وَبِأَنَّ لَهُمْ تِيْجَاناً مِنْ ذَهَبٍ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَلَدِيهِمْ قِيْتَارَاتٌ، وَجَامَاتٌ صَغِيرَةٌ مَمْلُوءَةٌ بِالْبُخُورِ (رُؤْيَا ٤ : ٤ ؛ ٥ : ٨).

الْأَثْوَابُ الْبَيْضَاءُ تُشِيرُ إِلَى نَقَاوَةِ هَؤُلَاءِ الْقَادَةِ وَأَنَّهُمْ سَلَكُوا بِاسْتِقَامَةٍ حَتَّى النِّهَايَةِ. وَتِيْجَانُهُمْ الذَّهَبِيَّةُ تُشِيرُ إِلَى إِنْتِصَارَاتِهِمْ الرُّوحِيَّةِ بِالْإِيمَانِ. وَهَذِهِ الْجَامَاتُ الْمَمْلُوءَةُ بِالْبُخُورِ، يُقَالُ لَنَا أَنَّهَا صَلَوَاتُ الْقَدِيسِينَ لَهُمْ. وَكَوْنُ كُلِّ شَيْخٍ يَحْمِلُ قِيْتَارَةً يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُمْ عَابِدُونَ.

بِمَا أَنَّ مَلَاخِي يُوجِّهُ نُبُوَّتَهُ بِشَكْلِ أُسَاسِيٍّ إِلَى الْقَادَةِ الرُّوحِيِّينَ الْفَاسِدِينَ، الَّذِينَ بَرَدَتْ مَحَبَّةُ قُلُوبِهِمْ نَحْوَ اللهِ، بِإِمْكَانِنَا الْقَوْلَ أَنَّهُ يُخْبِرُ هَؤُلَاءِ الْقَادَةَ الرُّوحِيِّينَ بِأَنَّ إِنْحِدَارَهُمُ التَّدْرِيجِيَّ نَحْوَ الْإِرْتِدَادِ بَدَأَ عِنْدَمَا "فَقَدُوا قِيْتَارَاتِهِمْ." كَانَ مَلَاخِي مُتَقَلِّلاً حِيَالِ الْبُرُودَةِ فِي قُلُوبِ الْقَادَةِ الرُّوحِيِّينَ فِي عِلَاقَتِهِمْ مَعَ اللهِ. الْقَادَةُ الرُّوحِيُّونَ الَّذِينَ لَيْسَ لَدَيْهِمْ حَيَاةٌ تَعْبُدِيَّةٌ شَخْصِيَّةٌ، أَوْ الَّذِينَ "وَضَعُوا قِيْتَارَاتِهِمْ جَانِباً" سَوْفَ يَخْسِرُونَ كُلَّ شَيْءٍ، بِحَسَبِ مَلَاخِي.

كَيْفَ يُصْبِحُ شَعْبُ اللهِ مِثْلَ جُنَّةٍ مَيِّتَةٍ؟ بِحَسَبِ مَلَاخِي، تَبْدَأُ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةُ الْمُمِيتَةُ عِنْدَمَا يُشْكِكُ الْقَائِدُ الرُّوحِيُّ بِمَحَبَّةِ اللهِ لَهُ شَخْصِيَّةً، فَيَهْمَلُ تَعْبِيرَهُ التَّعْبُدِيَّيَّ الْيَوْمَ عَنِ مَحَبَّتِهِ لِلهِ. تَنْطَبِقُ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ بِوَضُوحٍ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَلَيْسَ فَقَطْ عَلَى الْقَادَةِ الرُّوحِيِّينَ.

الهمسة الثانية: إحتقار إسم الله (١ : ٦ - ٢ : ٤)

إتهام الله الآخر من خلال النبي ملاخي يُبرزُ الهمسة الثانية للقلب الذي تبرّدُ محبته تجاه الله. إن جوهر الهمسة الثانية هو عندما يحتقر القائد الروحي أو المؤمن إسم الله. فتستمر الأجوبة الإستنكارية بالقول الرافض، "متى إحتقرنا إسم الله؟" فيأتي الجواب، "في كل مرة نقولون: لا تُزعجوا أنفسكم بأن تُعطوا للرب شيئاً ذا قيمة."

يقول ملاخي لهؤلاء الكهنة: "عندما تقبلون بتقديم حيوانٍ سقيم أو أعمى أو أعرج ذبيحة مقبولة لله، تحتقرون بذلك إسم الله." في إحدى أقوى رسائل ملاخي، قال للكهنة متكلماً بإسم الله، "هأنذا أنتهز لكم الزرع وأمدُّ الفرت على وجوهكم فرت أعيادكم فتنزعون معاً" (٢ : ٣). ويقول ملاخي متعجباً، "من فيكم يغلق الباب بل لا تُوقدون على مذبحي مجاناً!" (١ : ١٠).

إن إسم الله يُمثّل جوهر من وما هو الله. وتُعتبر دراسة جدية لأسماء الله في الكتاب المقدس بمثابة دراسة لطبيعة وجوهر الله. ولقد حدّرتنا الوصية الثالثة من الوصايا العشر بأن لا نستخدم إسم الله باطلاً (خروج ٢٠ : ٧). إن هذه الوصية لا تمنع التجديف فحسب، بل تحذرننا من استخدام إسم الله في العبادة بدون إجلالٍ لله، وأن نكون مدعويين حسب قصده. عندما علم يسوع الرسل كيف يُصلون، أخبرهم أن يُخاطبوا الله كأبيهم السماوي، وعلمهم أن تكون صلاتهم الأولى: "ليتقدّس إسمك." (متى ٦ : ٩).

عندما كان شعب يهوذا يُقدّمون لله هذه الذبائح الناقصة، كان الكهنة الذين قبلوا هذه الذبائح وشعب الله الذين قدموها يحتقرون إسم الله بذلك. كانوا بذلك يُصرّحون أن الله لم يستحق شيئاً ذا قيمة. إن وكالتنا تكشف ماذا نُفكر عمّن وعمّا هو الله وما يستحقّه منا. بالنسبة لملاخي، الهمسة الثانية للقلب الذي تبرّدُ محبته تجاه الله هي إحتقار إسم الله.

هل ترى نفسك في همسات القلب هذه؟ هل لديك علاقة محبة وعبادة شخصية حميمة مع الله؟ وهل تُظهر في عبادتك أنّك تُحبُّ الله وتعتبره وتعرف ما يستحقّه؟

الهمسة الثالثة: نقض الإلتزام مع الله (١ : ١٣)

بعد أن يكون القائد الروحي أو المؤمن التقى قد كفّ عن التعبير عن علاقة محبة شخصية مع الله في العبادة الفردية، وعندما يُظهر بأعماله أنه يحتقر من وما هو الله، ستكون الهمسة التالية في قلبه أنه سيجد عمل الله صعباً جداً. لقد لمح ملاخي بسؤال آخر للكهنة في هذه المرحلة من نُبوته. السؤال هو: "هل أنتم منهُكوا القوى، أم أنكم يعوزكم الدافع؟" إنه الآن يتحدّى الكهنة، الذين كانوا يتدمرون ويُدممون قائلين أن عمل الله صعب

للاغاية، يتحدّاهم ملاخي بهذه القضية: "هل عملُ الله هو حقّاً صعبٌ جداً، أم أنّكم تركتُم محبّتكم الأولى ولم تعودوا تُحبّون الله من كلّ كيانكم؟"

أذكرُكم الآن بكلمتين شدّدتنا عليهما في نُبوّة حَجِّي، ونجدُهما عبرَ صفحاتِ الكتاب المقدّس: "اللهُ أوّلاً!" من سفرِ التكوين إلى سفرِ الرؤيا، يُوضَعُ أمامنا التحديّ بأن نضعَ الله أوّلاً وأن نعبدَه وحدَه. عندما يخدمُ قانِدُ رُوحِي الله بقلْبٍ مُجرّأ، لن يطولَ الوقتُ إلى أن يجدَ هذا الشخصُ أن عملَ الله هو في غايةِ الصُّعوبةِ. الأشخاصُ الأكثرُ بُؤساً على الأرض همُ القادَةُ الرُحِيونَ أو المؤمنونَ الأتقياءَ الذي يخدمونَ اللهَ بالتزامٍ غيرِ كُليّ.

أنظرُ إلى جوهرِ هذه الحقيقة في الكتاب المقدّس: "إن كانَ الله يعني أيّ شيءٍ لك، فهذا يعني أنّه كلُّ شيءٍ. لأنّه، إلى أن يُصبحَ اللهُ كلُّ شيءٍ بالنسبةِ لك، فهو لا يعني لك شيئاً." لاحظُ إيليّا عندما تحدّى شعبَ الله على جبلِ الكرمل بهذا السؤال: "إلى متى تُعرّجونَ بينَ الفِرقتين؟ إن كانَ الربُّ هوَ الله، فاتبعوه، وإن كانَ البعلُّ هوَ الله، فاتبعوه." أصغ أيضاً إلى المسيح الحَيّ القائم من الأموات، وهو يقولُ لكنيسةِ لاودكية: "أنا عارفٌ أعمالك، أنّك لست بارداً ولا حارّاً. ليتك كُنْتَ بارداً أو حارّاً. هكذا لأنك فاترٌ ولست بارداً ولا حارّاً أنا مُزمِعٌ أن أتقيّك من فمي" (رؤيا ٣: ١٥، ١٦).

ويُخبرنا يعقوب أن الرجلَ ذا الرأيين هو مُتقلِّبٌ في جميعِ طُرُقِهِ. وكما أشرتُ سابقاً، علّمَ يسوعُ أنّ الفكرَ الموحّدَ، أو النظرةَ الموحّدة، يقودان إلى حياةٍ ملؤها السعادة، بينما "إزدواجيّةُ الرؤيا الروحيّة" تقودُ إلى ظلمةٍ دامسة، وإلى إنعدامِ السعادة (متى ٦: ٢٢، ٢٣). إن كلمةَ الله مملوءةٌ بالأعداد التي تحضُّنا على خدمةِ الله بقلْبٍ غيرِ مُجرّأ.

مُوصَفَاتُ كَاهِنٍ (٢ : ٥ - ٩)

إذ يرسمُ ملاخي الإطارَ الذي فيه سيُقدّمُ إنّهامَهُ الرابعَ في الإصحاحِ الثاني، يُعطينا وصفاً بليغاً لما كانَ ينبغي أن يكونَ عليه كاهنُ الله الحقيقيّ. ويقتبسُ كلماتَ قالها موسى عن لاوي، أبي الكهنة: "شريعةُ الحقِّ كانت في فيه وإثمٌ لم يُوجدْ في شفّتيه. سلكَ معي في السلام والإستقامة وأرجعَ الكثيرينَ عن الإثم" (ملاخي ٢: ٦؛ تثنية ٣٣: ١٠).

قامت بعضُ الكنائس، تكريماً لرُعاتها المُكرّسينَ بشكلٍ فوقِ إعتيادي، والذين خدموها لسنواتٍ طوال، بحفرٍ وتسجيلِ كلماتِ موسى وملاخي هذه على لوحةٍ وُضعت في مكانٍ بارزٍ في هذه الكنائس، لكي تقرأها الأجيالُ الطالعة.

يُتابعُ ملاخي بقوله لنا في مُوصَفاته للكاهن: "لأنّ شفّتي الكاهنِ تحفظانِ معرفةً ومن فمِهِ يطلبونَ الشريعةَ لأنّه رسولُ رَبِّ الجُود" (٢ : ٧). ثمّ يُقارنُ ملاخي بينَ هذا النموذجِ

عما ينبغي أن يكون عليه الكاهن، مع الكهنة الفاترين المرتدين والفاستدين الذين وجّه لهم إتهامه الرابع، ومُعظم نُبوته.

الهمسة الرابعة: إلتزامات الزواج المُحطمة (٢: ١٠ - ١٦)

سُرعان ما تخلّى الكهنة ورجال يهوذا عن إلتزامهم العامودي تجاه الله القُدوس، لم تُعد القضية الإ قضية وقت حتى تخلوا عن إلتزاماتهم الأفتية تجاه شركائهم الزوجيين. حاول أن تتبّع التسلسل المنطقي لهمسات القلب هذه. فعندما يُصبح الإلتزام تجاه الله مزغولاً بالشوائب، سُرعان ما تُصبح الإلتزامات الأفتية تجاه الناس هشّة وقابلة للكسر.

يواجه ملاخي الآن مُشكلة الزواج. وهو يضمُّ صوته إلى صوت نحما في قلقه على أطفال الزيجات التي تنتهي في محاكم الطلاق (نحما ١٣: ٢٣ - ٢٥). فهو يُذكر الكهنة ورجال يهوذا أن الزواج هو خُطة الله لإعطاء الأولاد عشرين سنة من العناية في العائلة قبل أن يخرجوا إلى العالم ليعيشوا حياتهم الخاصة. لهذا يكره الله الطلاق (١٥).

أخبرنا سليمان أن الأهل هم مثل القوس والأطفال هم مثل السهام. والطريقة التي يدخل بها الأطفال إلى الحياة تتعلّق بالزخم والإتجاه اللذين يأخذونهما من والديهم. فلو كنت أنت مكان إبليس، وعرفت أن الصورة المجازية التي إستخدمها سليمان تُمثل الحقيقة عن كيف يتحصّر الأولاد ويوهلون لكي يحيوا حياتهم، ماذا كنت ستفعل؟ كنت ستقطع وتر ذلك القوس. هذا ما كان إبليس يعمل في أيام حياة وكراسة ملاخي. ومن الواضح أنه يعمل الشيء نفسه في حضاراتنا اليوم.

تذكّر أن ملاخي يستعرض همسات القلب الذي تبرّد محبته تجاه الله. فهو يُحذّر شعب يهوذا بأنه عندما يكسر إلتزامهم تجاه الله، فإن إلتزامهم تجاه الناس سيكسر كذلك.

إنه يتعامل مع الدرجات التي بها أصبحت قلوب الكهنة باردة تجاه الله، وقادتهم إلى مرحلة يتعاملون فيها مع الطلاق وكأنه شيء عادي، وذلك بقبولهم تقدمات المُطلقين. لقد إتهم ملاخي بفصاحة هؤلاء المُطلقين بأنهم يُغطون المذبح بالدُموع، وهم يتدمرون لكون الله قد حبس بركاية من حياتهم. ثم يشرخ ملاخي أن الله حبس بركاية عن رجال يهوذا لأنهم تعاملوا بالعدر مع زوجاتهم بطلاقهم إياهن. لقد كانت زوجاتهم أمينات لهم في أيام الشباب. كانوا قد قطعوا عهداً أمام الله وأمام زوجاتهم بأن يعيشوا معهن، في السراء والضراء، إلى أن يفرق بينهما الموت. فكسر هذا العهد هو عدو، بالنسبة لملاخي.

الهمسة الخامسة: نِسْبَةُ الْأَخْلَاقِ (٢ : ١٧ - ٣ : ٧)

من أجل مُعَالَجَةِ ألمِ شعورهم بالذنب، الطريقة الوحيدة التي بها يستطيعون أن يعيشوا مع خسارة إخلاصهم كانت إبتكارهم لمبدأ نِسْبَةِ الْأَخْلَاقِ. "فأخلاقيتهم الجديدة" أو "نِسْبَةُ أخلاقيتهم" أراحت مُعاناتهم من الانفصام الرُوحِي في الشخصية بسبب شعورهم بالذنب، وأعطت هؤلاء اليَهُود المزدوجي الفكر دليلاً جديداً للراحة، الذي مكّنهم أن يعيشوا قِيَمَهُمْ وطُرُقَ حياتهم المملوءة بالخطية.

عندما تتأملُ بالأخلاقية المطلقة لناُموس الله الذي أعطاه لمُوسى، مُجرّد فكرة "الأخلاقية الجديدة" أو "الأخلاقية النسبية" تُعتبرُ فِطْرَةً لاهوتية. فإن كُنْتَ تقرأ وتؤمنُ بالأنبياء، ستعرفُ أنهم بمُعظمتهم إنفقوا مع ملاخي في مُعالجة مشكلة الأخلاقية النسبية.

إنهم ملاخي الكهنة وشعب يهوذا بأنهم كانوا يُسمون الشرّ خيراً، وأن الأشرار يُرضون الرب، وأن الله هو غير مُبالٍ بالأخلاق، ولا يُعيرُها أيّ إهتمام (٢ : ١٧). إذا تجاهلت إصاح الإنقسامات، بإمكانك أن ترى أن ملاخي إستخدم برهاناً ذا حدّين في رفضه للأخلاق النسبية عند أولئك الذين كانوا يُعالجون شعورهم بالذنب بهذه الطريقة.

أولاً، أشار ملاخي إلى مجيء المسيح في مجيئه الأول (٣ : ١ - ٦). كان سؤالُ ملاخي، "ومن يحتملُ يومَ مجيئه ومن يثبتُ عند ظُهُوره." فعندما يأتي المسيح، سيكون مثل نارٍ مُحْرِقَةٍ تُطَهِّرُ وتُنقّي المعادن الثمينة؛ فهو سينظف ثيابنا الوسخة، وسيطهر خدام الله، وسوف يَضَعُ الأمور في نصابها في المدينة المقدسة (٣ : ٤، ٥). عندما يأتي المسيح، سوف يعظُ أن الله لن يتغيّر، وسوف يكون شعورُ الله ثابتاً حيال القضايا الأخلاقية (٣-٦).

القسم الثاني من حجة ملاخي يصلُ إلى الإصحاح الرابع، ويُركّز على مجيء المسيح في مجيئه الثاني (ملاخي ٤ : ١، ٢؛ ٣ : ١٨). كان ملاخي يكرّرُ بأحدِ نواميس الله الثابتة، المُشدّد عليه في الكتاب المقدس، أن الله ليس غير مُبالٍ بالأخلاق، لهذا نحن نحصد ما نزرع.

الهمسة السادسة: سَلْبُ اللَّهِ (٣ : ٨ - ١٢)

الهمسة التالية للقلب الذي تبرّدُ محبته تجاه الله هي إتهام ملاخي للكهنة ولشعب يهوذا بأنهم يسلبون الله. فكان جوابُ الشعب الإستنكاري، "متى سلّبتنا الله؟" فكان الجوابُ للشعب أنهم يسرفون الله عندما لا يُقدّمون له عَشُورَهُمْ.

الكلمة "عشر" تعني "عشرة بالمائة." ومعنى العشر هو أنه كان أول عشرة بالمائة من كل ما يُحصَلُهُ المؤمنُ التقّي في الحياة. كان العشرُ فرصةً للمؤمن ليتعلّم ومن ثم ليقيس

إلى أيّة درجة كان يُساهم بمبدأ "الله أولاً" الذي نراه على صفحات الكتاب المقدّس. عندما اجتاحت الشعب أرض الموعد، كانت غنائم أوّل مدينة كلّها لله، حتّى الأبقار.

فوق العُشور، علّم ناموسُ الله المؤمنَ أن يُقدّم تقدّماتٍ وذبائح. عرّف داود النبيحة عندما قال: "لا أصددُ للرّبِ إلهي مُحرقاتٍ مَجَانِيَةً." إن معنى وجهته نظر ملاخي حول العُشور هو أنّ العُشور الأوّل من كلّ ما حصلوه كان للرّب، ولهذا فالاحتفاظ به يعني أنّهم كانوا يسلبون الله ويسرقونه ما له.

تأمّلوا بإطار هذه الهمسة السادسة للقلب الذي تبرّدُ محبّته تجاه الله، وسوف تُقدرونَ خطورة التطوّر التدريجيّ السريع نحو الإرتداد، كما أبرزه هذا النبي: لم يعد هناك تعبيرٌ تعبدي عن المحبّة لله؛ فأعمالهم لا تُظهر تقديرًا لمن وما هو الله، وما يستحقّه؛ هناك الإلتزام مكسورٌ تجاه الله. فكسرُ الإلتزام نحو الله سيتبعه كسرُ الإلتزام نحو الناس؛ وسوف تتبّع النسيبة الأخلاقية لكي تُداوي فقدانَ هؤلاء لصدقهم وإستقامتهم.

عندما أصغينا لهذه الهمسات الخمس الأولى، صار بإمكاننا أن نتوقّع أن يمتنع الشعب عن تقديم عُشوره وتقدّماته. وبما أنّ هذه الهمسة السادسة تأتي متأخرة في هذه السلسلة، وبما أنّ النبي يوجّه رسالته أولاً إلى الكهنة الفاسدين، نستطيع أن نظنّ أنّه يقصد أنّ الكهنة يخلّسون هذه العُشور والتقدّمات.

الهمسة السابعة: عدم الإيمان! (٣: ١٣ - ١٥)

الهمسة السابعة للقلب الذي تبرّدُ محبّته تجاه الله هي عدم الإيمان. إنعدام الإيمان هذا عبّر عنه بفصاحة عندما ذكر ملاخي، مُتكلماً باسم الله، إتهامه السابع ضدّ الكهنة وشعب يهوذا، فأجابوه مُستنكرين: "أقولكم إستندت عليّ قال الرّب. وقلتم ماذا قلنا عليك. قلتم عبادة الله باطلّة وما المنفعة من أنّنا حفظنا شعائره وأننا سلّكنا بالحزن قدام ربّ الجنود. والآن نحن مُطوّبون المُستكبرين وأيضاً فاعلوا الشرّ يبنون بلّ جرّبوا الله ونجوا."

على الرّغم من أن هؤلاء الكهنة قد فقدوا إيمانهم، بما أنّهم ورثوا الكهنوت بالولادة، لم يكن بإستطاعتهم تركه، بل تابَعوا مهمّتهم ككهنّة. وبما أنّ إحدى مهمّات هؤلاء الكهنة كانت تعليم كلمة الله لشعب يهوذا، فماذا كانوا سيعلّمون إذا كانوا قد فقدوا إيمانهم بكلمة الله؟ بحسب ملاخي، علّموا قائلين، "طوبى للمُستكبرين."

إن كُنْتَ تعرف الكتاب المقدّس جيّداً، ستعرف كم يكره الله الكبرياء، التي هي أمّ الخطايا. فلماذا وعظ الكهنة بالقول، "طوبى للمُستكبرين؟" يُخبرنا ملاخي أنّ هؤلاء الكهنة كانوا قد تركوا الإيمان. عندما نسمع وعظاً يتعارض بصراحة مع الكتاب المقدّس، لا يسعنا إلا أن نتساءل كيف وصلنا إلى هذه المرحلة من الإرتداد وعدم الإيمان. جواب ملاخي

العميق هو أن كل هذا بدأ عندما أخذنا نُصغي إلى هذه الهمسات في قلوبنا. قد يتطلّب الأمر سنواتٍ لكي تُسمع هذه الهمساتُ السبع في قلبِ المؤمن أو القائدِ الرُّوحي.

إذا وضعتَ ضِفدَعاً في وعاءٍ ماءٍ مَغلي، سوفَ يَقْفِزُ الضِفدَعُ فوراً إلى خارجه. ولكن إذا وضعتَ الضِفدَعُ في ماءٍ بارد، وزدتَ حرارةَ الماءِ تدريجياً، سوفَ يُسَلِّقُ الضِفدَعُ تماماً. هكذا هي حالُ هذه العملية التي وصفها ملاخي – خُطوةٌ خُطوةً- ولكنَّ النتيجةَ النهائيَّة هي قادة رُوحيين فاسدين، عدوى طلاق، نسيبَةُ أخلاقيَّةٍ وعدم إيمان.

الفصل الرابع عشر

الخاتمة (ملاخي ٣ : ١٦ - ٤ : ٤)

إذا درسنا بعناية المقطع المشار إليه أعلاه، سوف نرى أنّ عظة ملاخي إختتمت بالعدد ١٥ من الإصحاح الثالث. وبقية نبوة ملاخي كانت خاتمة وصفت التجاوب مع وعظ ملاخي العظيم من قبل المؤمنين الباردة القلوب، الذي تحلوا عن علاقتهم مع الله، لا بل تحلوا عن إيمانهم، وكذلك تجاوب الأشخاص الذين كانوا يخافون الله ولم يتحلوا لا عن علاقتهم بالله ولا عن إيمانهم.

عبر نبوة ملاخي سمعنا أجوبة الله على إستكارات الكهنة وشعب يهوذا، ذوي القلوب الباردة تجاه الله. في هذه الخاتمة الجميلة، نسمع تجاوب الله المحب مع شعب الله الحقيقي. أولئك الذين خافوا وأحبوا الرب، أكدوا على عظمة كرامة ملاخي. هؤلاء كانوا شعب الله الذين لم يتحلوا عن محبتهم الأولى، أو الذين تابوا ورجعوا إلى محبتهم الأولى للرب من خلال وعظ ملاخي.

نقرأ: "حينئذ كَلَّمَ مُتَّفُو الرَّبِّ كُلُّ وَاحِدٍ قَرِيْبَهُ وَالرَّبُّ أَصْغَى وَسَمِعَ وَكُتِبَ أَمَامَهُ سَفْرُ تَذَكْرَةٍ لِلَّذِينَ إِنْتَفَوْا الرَّبَّ وَلِلْمُفَكِّرِينَ فِي اسْمِهِ."

إن هدف مهمة ملاخي كان ترميم علاقة المحبة بين الله وشعبه من خلال نهضة روحية. يُختم سفر ملاخي بإخبارنا أنّ ملاخي تمم هدفه لأن هذه الكلمات تصف نهضة.

سجلت الخاتمة أيضاً تجاوباً جميلاً من الله تجاه موقف الأمانة من الكهنة وشعب الله. يُقدّم ملاخي مجيء المسيح ثانية، عندما ستشرق الشمس والشفاء في أجنحتها للمؤمن، بينما تأتي الديونة القاسية على باردي القلوب، الذين ركزت عليهم هذه النبوة. يُخبر ملاخي هؤلاء بشعور الله حيال التسيبة الأخلاقية.

نبوة ختامية (٤ : ٥ ، ٦)

يختم ملاخي وعظه الديناميكي بإخباره عن مجيء نبي شبيهه بإيليا، الذي سوف يسبق يسوع المسيح ويُمهّد له الطريق. وسوف يذكر يسوع صراحةً أنّ يوحنا المعمدان كان هذا النبي (متى ١١ : ٧ - ١٤). ولئلا يظن أحد ما أنّ يوحنا المعمدان كان تجسداً آخر لإيليا، أنكر يوحنا هذا بصراحة ووضوح (يوحنا ١ : ٢١).

كان ممكناً أن يختم ملاخي نبوته بالكلمات التالية، "يتبع - بعد حوالي أربعمئة سنة." فبعد أربعمئة سنة من السنوات الصامتة، عندما لم يكن لهؤلاء اليهود لا نبي ولا

كلمة من الله، جاء يُوحنا المعمدان يكرزُ بالروح وبِقُوَّةِ إِبِلْيَا. ولقد قضى الكهنَةُ والقَادَةُ الرُّوحِيُّونَ وشعب يهُوذا ساعاتٍ طِوَالٍ وَهُمْ يُصْعُونَ لِأَعْظَمِ رَجُلٍ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ.

عندما وعظَ يسوعُ نفسه، أصغى هؤلاء القادة الدينِيُّونَ أَنفُسَهُمْ لساعاتٍ طِوَالٍ لِلْمَسِيَّا. حَاوَلَ بَعْضُهُمْ رَجْمَهُ، والبعضُ الآخرُ قَالَ مُتَعَجِّبًا، "قد وجدنا المسيا" وَأْمَنُوا بِهِ، وتبعوه، وَأَصْبَحُوا رُسُلَهُ.

لقد كَانَ من دواعي سُرورنا أن ندرُسَ معاً العهدَ القديم، وأختُمُ بوضع هذين التحدِّيَّينِ أَمَامَكُمْ: (١) ماذا ستعملونَ بما تعلَّمْتُموه؟ هل ستَرَجُمُونَ المسيا وتطرُدونه خارجَ حياتكم، أم أَنَّكُمْ ستتبعونه؟ (٢) وهل ستتابعونَ دراسةَ الكتاب المقدَّسِ معنا، بينما نبدأُ بدراسةَ العهدِ الجديد؟

الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل